المنْحَى القَصَصِي عند الجارم

(عرض وتحليل ونقد)

الدكتور / علي محمد علي إسماعيل ندا
أستاذ الأدب والنقد المساعد
جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

فقد حفل العصر الحديث بأدباء أفذاذ ، أفاض الباحثون في دراسة الكثير من نتاجهم الإبداعي .

من هؤلاء الأفذاذ الأديب العالم (علي الجارم) ، الذي خلَّف نتاجًا أدبيًّا راقيًا غزيرًا ، شعرً ونثرًا ، بعد رحلة طويلة مع الحياة ؛ واهتم الباحثون بدراسة جانب واحد فقط من نتاجه الأدبي ، وهو النتاج الشعري . حيث وجدت دراسات عديدة متنوعة تناولت ديوانه الشعري بالدراسة والتحليل . سواء كان ذلك في هيئة مقالات موجزة ، أو في بحوث تفصيلية .

وفن القصة من أبرز الآثار النثرية التي خلَّفها ذلك الأديب الكبير ، ولم يأخذ حقَّه من البحث والدراسة، اللهم إلا في بعض الإشارات القليلة التي تُشير على استحياء إلى هذا الفن عنده .

ولم أقف حتى الآن على دراسة تفصيلية مستقلة توضح هذا المنحى، وتبرزه في ثوب يتناسب مع أهميتها ، وقيمتها الفنية .

لذلك ارتأيت أن أُقدِّم لبنة في هذا البناء الفني ، علها تؤدي دورها في توضيح ما غفل عنه الآخرون في نتاج علي الجارم الإبداعي .

والله المُستعان والموفق

تمهيد

إطلالة على حياة الجارم ونشأته .

هو علي محمد صالح عبد الفتاح إبراهيم محمد الجارم . ينتسب من جهة والده إلى سلالة من قُريش أفصح العرب ، في بيت ينتهي إلى العلويين من أبناء الحُسَيْن بن علي بن أبي طالب ﷺ . وقد أكد الكاتب هذا النسب في قصته التاريخية (غادة رشيد)، حيث جعل جده الشيخ (إبراهيم الجارم) أحد شخوصها(١) . كما أكده في بعض قصائده التي مدح بها رسول الله ﷺ . حيث يقول(٢) :-

وَلِي نَسَبٌ يُنَمِي لِبَيْتِكَ صَانَنِي وَصَانَتْهُ مِنِّي عِزَّةٌ وَإِبَاءُ(٣)

وينتسب من جهة أمه إلى أسرة عريقة معروفة من رشيد هي أسرة السيسي(٤) .

فالجارم ينتسب إلى أسرة عريقة لها جذور عربية راسخة في رشيد من زمن طويل ، بل هي من أهم وأشهر الأسر الدينية في هذه المدينة ، ولها نسب يصل إلى الحُسَين بن علي بن أبي طالب ﷺ ــ كما أشرنا آنفًا ــ ، وتحتفظ الأسرة بمحرر ، أو وثيقة تُبين هذا النسب العريق يُسمونها (نسبة) ، وقد جاء في تاريخ الجبرتي: أن القائد الفرنسي (مينو) وقت الحملة الفرنسية على مصر ، عندما كان يحكم (رشيد) أراد أن يُصاهر أكبر عائلاتها ، فأعلن إسلامه ، وتقدم إلى كبير عائلة الجارم في ذلك الوقت ، وهو الشيخ/ إبراهيم الجارم لكي يُزوجه إحدى ابنتيه (رقية ، أو

---

(١) لمزيد من التفصيل راجع : الأعمال النثرية الكاملة . ص ٨٤٣ :٩٦٧. دار الشروق . ط : الأولى . سنة ١٩٨٩م .

(٢) ديوان علي الجارم . علي الجارم . ص ١ / ٢٠ . دار الشروق . ط الثانية : سنة ١٩٩٠م .

(٣) نسب : انتماء وقرابة . يُشير إلى نسب الشاعر إلى الرسول ﷺ .

(٤) لمزيد من التفصيل راجع : علي الجارم باحثًا وأديبًا . أ / محمد الغزالي حرب . ص ٩. ط : دارالمعارف بمصر . سنة ١٩٤٥م .

آمنة) ، إلا أن الشيخ / الجارم رفض هذا النسب ، مما أغضب الحاكم الفرنسي غضبًا شديدًا ، أخرى هي (زبيدة بنت البواب)(١) .

وُلِدَ الجارم في ٢٥ من ديسمبر عام ١٨٨١م ، بمدينة (رشيد) السَّاحلية بجمهورية مصر العربية . وقد تغنى هو بهذه البلدة في كثير من أشعاره(٢) . وفي السن الملائمة أرسلته أسرته إلى كُتَّاب رشيد حيث بدأ حفظ القرآن الكريم ، ملحوظًا برعاية والده العلم الديني ، واللغوي الأديب الذي كان يعمل (مفتيًا للمحافظة) .

لمح الوالد في ابنه (علي) الذي سمَّاه باسم جده الأكبر (علي بن أبي طالب) ﷺ ، مخايل الذكاء ، ورهافة الإحساس والعاطفة ، فحرص على تنمية كل ذلك بالتشجيع والدراسة والتذكرة .

وعند بلوغه سن السَّادسة أرسله أبوه إلى المدرسة الابتدائية برشيد، فتعلم القراءة والكتابة ؛ لكنه لم يتم تعليمه الأوَّلي بها ؛ لأنها أُلغيت بعد فترة التحاقه بها ، فما كان من والده إلا أن أرسله إلى أحد المساجد الدينية لكي يستكمل تعليمه بين جنباته،وهو مسجد (المحلي) ، الذي كانت تعقد به حلقات تحفيظ القرآن الكريم ، بالإضافة إلى تدريس أوليات العلوم الدينية واللغوية ..

وبالفعل يواظب الصبي الصغير على حفظ كتاب الله بحب كبير ، ويُتابع تلقي الدروس العلمية بنهم شديد حتى قطع في ذلك كله شوطًا عظيمًا، وقد

---

(١) لمزيد من الإيضاح راجع : علي الجارم . باحثًا وأديبًا . أ / محمد الغزالي حرب . ص ١٨٩ وما بعدها .
ويُلاحظ أن الجارم أكد هذه الواقعة في قصته التاريخية (غادة رشيد) . الأعمال النثرية الكاملة . ص ٨٤٣ : ٩٦٧.

(٢) راجع : الأعمال الشعرية الكاملة . علي الجارم . ص ١ / ٥٠ . على سبيل المثال لا الحصر .

صادف هذا التفوق الكبير في التحصيل ، والنبوغ العظيم في التلقي هـوًى كبيرًا في نفس والده وجده(١) .

وكان من أثار ذلك أنه قال الشعر مبكرًا، خاصة حينمـا دهـم الوبـاء مدينة رشيد ، وكان سنه حينذاك لا تزيد عن خمسة عشر عامًا .

كما حرص والده ــ طيَّب الله ثراه ــ على أن يؤدبه بالآداب الإسلامية ، والمكارم الأخلاقية فيُحسن تأديبه ، لا سيما خُلق القناعة التي يراها ثروة لا تفنى . وعلى أن يُمرن لسانه على النطق السَّليم بعد أن مرَّنه على تجويد القرآن الكريم وترتيله ، مما كان له بعد ذلك أبلغ الأثر في أنه كان من القلة النادرة التي تقول فتُبين ، ولا تسرد الكلام سردًا ، وإذا أنشدت الشعر فهـو الإنشاد الفذ الذي يعد المثل الأعلى في تمثيل معاني الشعر ، وتمثيلها فـي أثناء الإنشاد . ومن هنا كان أمير الشعراء (أحمد شوقي بـك) ، لا يختـار لإنشاد شعره أول مَنْ يختار إلا البُلبل الصَّدَّاح الغرِّيد (علي الجارم)(٢) .

ثم انتقل (علي الجارم) مع أسرته إلى الجيزة بعد أن تم استدعاء والده من جانب وزارة الحقَّانية لممارسة عمله بالقضاء الشَّرعي والإفتـاء فـي الجيزة القريبة من القاهرة وهناك وجد الفرصة سانحة لكـي يلحـق ابنـه بالأزهر ، فهو قد حفظ القرآن الكريم وجوَّده ، ودرس بعض مبادئ العلـوم الشرعية واللغوية في المدة السابقة ، ثم إنه اقترب من مقر هـذا المعهـد العتيق ، فما كان منه إلا أن ألحقه بهذا الصرح العتيق في دراسـة العلـوم الدينية . وامتدت الدراسة فـيه أكثـر مـن سـت سـنوات (١٨٩٦م ــ ١٩٠٣م) ، حتى التحق بمدرسة دار العلوم .. وظـل علـى تفوقـه بهـذه المدرسة حتى تخرج فيها عـام (١٩٠٨م) .... ثم سافر إلـى (نوتنجهـام)

---

(١) لمزيد من المتابعة راجع :الجارم الشاعر (عصره ، حياته ، شعره) . أ / أحمد الشَّايب . ص ٢١ وما بعدها . ط : النهضة المصرية "القاهرة" . ط : الأولى سنة ١٩٦٧م .

(٢) لمزيد من التفصيل راجع : علي الجارم باحثًا وأديبًا . محمد الغزالي حرب . ص ٩ وما بعدها . دار الفكر العربي .

في بعثة لإنجلترا ليدرس فنون التربية مكافأة على تفوقه ،وعاد منها ليدرس أصول التربية بدار العلوم إلى جانب علوم العربية(١) .

عُيِّن (الجارم) مدرسًا بمدرسة التجارة المتوسطة بعد عودته من إنجلترا عام ١٩١٢م ، وقضى بها عامًا انتقل في أعقابه إلى مدرسة دار العلوم ، لكي يقوم بتدريس علوم التربية ، واستمر بها حتى عام ١٩١٧م ...

وفي مايو ١٩١٧م نقل (الجارم) من التدريس بدار العلوم إلى التفتيش بوزارة المعارف ، ثم رُقِّيَ إلى وظيفة (كبير مفتشين) ، وظل كذلك حتى عام ١٩٤٠م ...

وفي أثناء عمل (علي الجارم) بالتفتيش أُسند إليه الإشراف على مجلة مَجْمَع اللغة العربية مصاحبًا نُخبة من كبار علماء اللغة بمصر والبلاد العربية والأُوربية وقتئذ(٢) .....

استمر (الجارم) في التفتيش بوزارة المعارف حتى عام ١٩٤٠م، ثم نقل إلى دار العلوم وكيلاً لها ، وقائمًا بأعمال العميد ، وقد استمر في عمله هذا حتى أُحيل إلى المعاش عام ١٩٤٢م ...

وهكذا كان (الجارم) من أساطين الثقافة الإسلامية والعربية والغربية في مصر والعالم العربي ، وقد ساعده على ذلك أنه صاحب ذاكرة عظيمة ، ونشاط متصل في القراءة والاطلاع . ولا يقتصر الأمر في روافد الجارم

---

(١) لمزيد من الإيضاح راجع : الجارم الشاعر (عصره ، وحياته ، وشعره). أ / أحمد الشايب . ص ٢٣ . و الشعر المصري بعد شوقي . د / محمد مندور . الحلقة الأولى . ص ٤٣ وما بعدها . نهضة مصر بالقاهرة . عام ١٩٨٩م . وتقويم دار العلوم . أ / محمد عبد الجواد . ص ١٦٢ وما بعدها . ط : هوسابير بالقاهرة . عام ١٩٥٩م .

(٢) لمزيد من المتابعة راجع : مجمع اللغة العربية . د/عبد المنعم الدسوقي الجميعي . ص ٢٦ وما بعدها . ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب . سنة ١٩٨٣م .

الثقافية على ذلك ، بل تجاوزها إلى الاهتمام بالأسس التي كونت ثقافة أعضاء مدرسة البيان في النثر الفني بأدبنا العربي الحديث(١) .....

ويمكن إجمال هذه الروافد في التالي :-

١ ــ بيئته الإسلامية التي نشأ فيها ، حيث نشأ الجارم وترعرع في أسرة أكثرها من علماء الأزهر ، تتمسك بالدين وتُحافظ على قيمه وأصوله . فأرسلوه إلى الكُتَّاب فحفظ القرن الكريم وجوَّده ، ثم التحق بالأزهر فنهل من علومه العربية والإسلامية على يد شيوخه وعلمائه .

٢ ــ الاطلاع المستمر على التراث العربي والإسلامي في فترة مبكرة من حياته ، حيث فتح عينيه على مكتبة والده الزاخرة بمراجع تراث الأوائل ومصادره . على ما في قوله(٢) :-

إنِّي طَرَحْتُ مِنَ الشَّبَابِ رِدَاءَهُ ... وَثَنَيْتُ عَنْ لَهْوِ الصَّبَابَةِ جِيدِي(٣)

وَاخْتَرْتُ مِنْ صُحُفِ الأَوَائِلِ صَاحِبِي ... وَجَعَلْتُ مَأْثُورَ البَيَانِ عَقِيدِي(٤)

وَمَرَرْتُ بِالتَّارِيخِ أَملأُ نَاظِرِي ... مِنْهُ وَأُحْيِي بِالفَنَاءِ وُجُودِي

كَمْ عَالِمٍ قَابَلْتُ فِي صَفَحَاتِهِ ... وَلَكَمْ ظَفَرْتُ بِفَاتِحٍ صِنْدِيدِ!(٥)

٣ ــ الإطلاع المستمر على الثقافة الغربية ، لا سيما الأدب الإنجليزي ، حيث وفرت له بعثته التعليمية إلى إنجلترا ــ التي أشرنا إليها آنفًا ــ تعلم اللغة الإنجليزية ، ومن ثم قراءة مصادرها الفكرية والأدبية ، ودرس علوم التربية والنفس والمنطق بالطرق الحديثة؛ وعقد مقارنة علمية بينها وبين الحضارة العربية والإسلامية .

---

(١) لمزيد من التفصيل راجع : مدرسة البيان في النثر الحديث . د / حلمي القاعود . ص ١١٨ وما بعدها . ط : دار النصر للطباعة الإسلامية . نشر دار الاعتصام بالقاهرة .

(٢) ديوان علي الجارم الكامل . ٢ / ٤٤٤ .

(٣) ثَنَيْتُ : حولت . الصَّبَابَةُ : رقة الشوق وحرارته .

(٤) عَقِيدِي : حليفي ومعاهدي .

(٥) الصِّنْدِيدُ : السيد الشجاع .

وقد تمخض عن ذلك أنه ترجم واحدًا من أهم الكتب الغربية وهو (قصة العرب في إسبانيا) ،وقدمه للقارئ العربي في ثوب قصة تاريخية(١) ــ على ما سيأتي بإذن الله تعالى.

وهكذا أسهمت الأسس العلمية الصحيحة في تكوين شخصية الجارم العلمية والثقافية ، وقد بدا آثار هذه الثقافات واضحًا في نتاجه الفكري والأدبي .

أما عن نتاجه العلمي الفكري فهو يتمثل في الآتي :-

١ ــ كتب علمية ألفها لتلاميذه بنفسه ، أو بالاشتراك مع غيره في (النحو ، والبلاغة ، وعلم النفس ، وتاريخ الأدب) ، ومن أهمها :-

(النحو الواضح للمدارس الابتدائية ، والنحو الواضح للمدارس الثانوية ، والبلاغة الواضحة ، والمنتخب من أدب العرب ، والمجمل والمفصل في الأدب العربي)(٢) .

٢ ــ كما أنه ترجم واحدًا من أهم الكتب الغربية وهو (قصة العرب في إسبانيا) ــ التي أشرنا إليها سابقًا ــ .

٣ ــ تحقيق علمي دقيق لبعض كتب التراث بالاشتراك مع بعض الأساتذة المفكرين ، ومن أهمها :-

(البخلاء للجاحظ ، والمكافأة لأحمد بن يوسف ، والفخري في التاريخ لابن طباطبا ، وديوان البارودي)(٣) .

---

(١) راجع : الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٢٧٣ : ٤٢٦ .

(٢) لمزيد من المتابعة راجع : تقويم دار العلوم . أ / محمد عبد الجواد . ص ١٦٣ وما بعدها .

(٣) لمزيد من التفصيل راجع : الجارم الشاعر (عصره ، وحياته ، وشعره) . ص ٥٣ وما بعدها .

وأما عن نتاجه الأدبي فهو يتمثل في الآتي :-

أولاً : الشعر .

ترك الجارم كمًّا هائلاً من الشعر العربي العمودي،جاء في أربعة دواوين كبيرة ، طُبعت مرات عديدة في حياته ، كان آخرها تلك الطبعة التي جمعتها في مجلد واحد مكون من جزأين ، وقد صدر عن دار الشروق عام ١٩٨٦م في طبعته الأولى . وعام ١٩٩٠م في طبعته الثانية .

ثانياً : النثر :-

اهتم أديبنا الكبير بالنثر الأدبي في شقيه (القصة ، والمقال) . حيث كانت له إبداعات فنية جمَّة في هذين الفنيين .

١ ـ فن المقال :-

كان للجارم باع كبير في مجال فن المقال حيث امتلأت الصحف والمجلات الأدبية التي عاصرها بالعديد من المقالات في شتى المجالات (الاجتماعية ، والسياسية ، والوجدانية ، وما إلى ذلك ...) .

وقد جُمعت هذه المقالات بواسطة أسرته الكريمة ، وطُبعت في مجلد واحد نشرته دار الشروق عام ١٩٩١م ؛تحت عنوان (جارميات) .

٢ ـ فن القصة :-

استثمر الجارم فترة خروجه من العمل الحكومي إلى التقاعد (المعاش) بإبداع العديد من القصص الأدبية في اتجاهها التاريخي . وقد تمثلت في تسع قصص ، هي :-

(فارس بني حمدان ــ الشاعر الطموح ــ خاتمة المطاف ــ شاعر ملك ــ هاتف من الأندلس ــ الفارس الملثم ــ مرح الوليد ــ سيدة القصور ــ غادة رشيد) .

وقد طُبعت هذه القصص مرات عديدة ، كان آخرها تلك الطبعة التي بين أيدينا التي ضمتها جميعًا في مجلد واحد ، تحت عنوان (الأعمال النثرية الكاملة) ؛ وقد صدر عن دار الشروق كذلك عام ١٩٨٩م .

بعد حياة حافلة بالنشاط الفكري والإبداعي تُوفي إلى رحمة الله تعالى مساء يوم ٨ من فبراير عام ١٩٤٩م ، عن عمر يُناهز ثمانية وستين عامًا .

وقد كان ذلك في قاعة (الجمعية الجغرافية) ، أثناء استماعه إلى مرثية طويلة له في صديقه الحميم (محمود فهمي النقراشي باشا) ، يُلقيها نجله الأستاذ الشاعر (بدر الدين علي الجارم) في احتفال كبير أُقيم بمناسبة ذكرى الأربعين في القاعة السابقة الذكر(١) .

*** **** ****

القسم الأول

عرض الأحداث والأفكار

لقد انتخب الأديب (علي الجارم) من هذه الاتجاهات القصصية ، الاتجاه التاريخية(٢) ، ليكون مادته في مجال القصة حيث كتب :-

١ ــ فارس بني حمدان . ٢ ــ الشاعر الطموح .

٣ ــ خاتمة المطاف . ٤ ــ شاعر ملك .

---

(١) راجع : ديوان علي الجارم الكامل . مقدمة القصيدة . ص ٢ / ٤٠٠ .

(٢) لمزيد من المتابعة عن القصة التاريخية وهدفها، راجع : الأدب وفنونه . د/ محمد مندور. ص ٧٨ .
نهضة مصر بالقاهرة . واتجاهات وأراء في النقد الحديث . د / محمد نايل . مطبعة العاصمة بالقاهرة .
سنة ١٩٦٥م . والرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث .د / أحمد الهواري ، د / قاسم عبده قاسم .
مطبعة دار التأليف بالقاهرة . ط : الأولى سنة ١٩٧٧م . والرواية التاريخية في أدبنا الحديث (دراسة تطبيقية) . د / حلمي القاعود . دار النصر للطباعة الإسلامية بالقاهرة.نشر/ دار الاعتصام . ط : الأولى
سنة ١٩٩٠م .

٥ ــ هاتف من الأندلس . ٦ ــ الفارس الملثم .

٧ ــ مرح الوليد . ٨ ــ سيدة القصور .

٩ ــ غادة الرشيد .

فالقصة عند الجارم جميعها مستمدة من التاريخ العربي بعد ظهور الإسلام بدءًا من العصر الأموي،حيث استقى منه أحداث قصة (مرح الوليد) . ومرورًا بالعصر العباسي الذي أخذ منه أحداث قصصه (سيدة القصور ، وفارس بني حمدان ، والشاعر الطموح ، وخاتمة المطاف) . ثم العصر الأندلسي الذي كان مصدرًا لأحداث قصص (شاعر ملك،وهاتف من الأندلس ، والفارس الملثم) ، وانتهاءً بالعصر الحديث ، حيث استمد منه أحداث قصة (غادة رشيد) .

منطلقًا في ذلك من أن التاريخ العربي على امتداد حقبه كان المصدر الأول للأعمال القصصية التاريخية ، مما يجعله من رواد القصة التاريخية العربية ذات الاتجاه الإنشائي(١) .

ولعل الباعث الذي دفع الجارم إلى هذا المضمار دون غيره يتجسد في المحاور الآتية :-

١ ــ أن الكاتب يصدر عن ثقافة عربية أصيلة ، استمدها من ينابيعها الأصيلة في التاريخ العربي والإسلامي ــ كما أشرنا آنفًا ــ .

٢ ــ أراد الكاتب انتقاء صفحات من التاريخ العربي والإسلامي المجيد ، وقدمه في لون قصصي إلى مواطنيه ، وبخاصة النَّشء والشباب ، في صورة أسلوبية راقية للتعليم ، واستنباط التجارب .

فالتاريخ العربي والإسلامي نبع فيَّاض للقصص التي تقوم على التجارب الإنسانية السَّامية ، التي تجذب انتباه المتلقي إليها ؛ فحاول أن

---

(١) لمزيد من التفصيل راجع : الفن القصصي في الأدب الحديث . د / محمود حامد شوكت . ص ١٥٢ وما بعدها . ط : دار الفكر العربي بالقاهرة سنة ١٩٥٦م .

يُقدم شيئًا منها بأسلوب عربي رصين إلى أبناء أُمته لإيجاد الصلة بين الماضي والحاضر ، والعمل على تجديد التراث المجيد .

٣ ــ إحياء التراث العربي والإسلامي، في صورة قصص فني ، وتقديمه في هيئة حديثة .

وقد لجأ الجارم ، وغيره من الكُتَّاب إلى هذا النوع التسجيلي من القصة التاريخية قبل الثورة المصرية عام ١٩٥٢م ، حيث أخذوا يستوحون التراث العربي للتغني بأمجاده ؛ أي إن الكاتب يتناول الشخصية التراثية في روايته ، سواء كانت تاريخية ، أو شعبية ، أو أسطورية ، تناولاً تسجيليًا ، لا يخرج عن كونه يريد صياغتها في شكل روائي ، لإحياء أمجادهم الحضارية الماضية . وكان أشهر الأنماط التراثية التي لجأ إليها الكُتَّاب في هذه المرحلة خاصة ...هو النمط التراثي التاريخي والشعبي والأسطوري(١) .

وكان المنهج التسجيلي سمة عامة بين الكُتَّاب في قصصهم التاريخية يتغنوا فيه بالأمجاد العربية ، وما يتصل بها ، وبخاصة الشخصيات ذات الأثر النبيل ، حيث إنهم يُعَدُّون نماذجًا عُليا للإقتداء ، مُثلاً رفيعة للاحتذاء .

وهذا لا يمنع أن يكون لكل كاتب من الكتاب رؤية خاصة في معالجة أحداث التاريخ ، ورسم شخصياته .

والجارم في ذلك استنبط الأحداث من حياة شخصيات قصص تراثية أدبية للربط بين وقائع التاريخ في الفترة المراد تصويرها. مثل (المعتمد بن

---

(١) لمزيد من الإيضاح راجع : العناصر التراثية في الرواية العربية . د / مراد مبروك عبد الرحمن . ص ٣٦ وما بعدها . دار المعارف بالقاهرة . ط : الأولى سنة ١٩٩١م .

عباد ، وعمارة اليمني ، وأبي فراس الحمداني ، وأبي الطيب المتنبي ، والوليد بن يزيد ... وغيرهم ...) .

من هذا المنطلق فإن الأحداث التي تناولها الكاتب في قصصه ، هي أحداث واقعية مستمدة من سير شخصيات كانت موجودة بالفعل في الحياة ، ثم وردت في كتب التراث الأدبي ، أو التاريخي ، أو هما معًا .

ولم يكن الالتزام بالوقائع التاريخية للشخصيات عند الجارم عملاً سهلاً كما قد يُظَن ، لأن ذلك يستلزم بالضرورة قراءة مستفيضة في كتب التراث المختلفة التي احتوت لسير هذه الشخصيات ، وموازنة شاملة بين رواياتها المتعددة ، للوقوف على صورة تفصيلية للشخصيات ، والانتقاء منها ما يُناسب العمل القصصي .

وقد اعتمد الجارم في ذلك على تراجم الشعراء العرب القدماء وسيرهم ، لا سيما الذين كان لهم محاور مهمة في أوطانهم،والمتصلين بمواقع القيادة في عصورهم ، مثل (المتنبي ، وأبي فراس الحمداني ، وعمارة اليمني ، والمعتمد بن عباد ، وابن زيدون .) .

كما اعتمد الجارم في تصوير شخصياته التاريخية البطولية الرائدة في عصورهم ، مثل (الوليد بن يزيد ، ومحمود العسَّال،وعائشة المخزومية ، ونزار الخزاعي) .

من هنا فإن سير الشعراء الكبار، ثم الأبطال التاريخيين العظام كانت النبع الثر ، والمصدر الفيَّاض للأحداث الفنية في القصص التاريخية .

ولسوف نوضح ــ بإذن الله تعالى ــ نهج الكاتب في تكوين الأحداث والشخصيات ، وبناءه الفني في تصميمه القصصي .

أولاً : فارس بني حمدان

لا غرو في أنه غالبًا ما يكون التلخيص أو الإيجاز تشويهًا نافرًا لجمال سياق القصة ، على حد تعبير الأستاذ سيد قطب في قوله :-

(والصعوبة التي تواجه ناقد القصة أنه لا يملك عرض الجمال الفني فيها كما يريد ، فالتلخيص عبث وقتل لهذا الجمال،فهو – على أحسن الأوضاع – يُلخص الفكرة ، وماذا تُجدي الفكرة إذا لم يستطع تصوير طريقة العلاج ؟ وكل وصف لطريقة يُعد تشويهًا بالقياس إلى حقيقة العمل الفني في السياق ، ولكني بعد هذا كله ملزم أن أعرض على القارئ هذا التشويه) [1]. وذلك لأن ضرورة البحث تُلجئ الناقد إلى هذا الإيجاز والتلخيص .

من هنا وجدت نفسي مضطرًا لذلك ، بالإضافة إلى أنني لا أستعيض أسلوبي في عرض تلخيص تطور أحداث القصة عن أسلوب الكاتب ، لأن له روحه القوي البارع ، وأسلوبه الفذ المبتكر ، فكنت أقتطف بعض اللوحات والمواقف التي يستطيع بها القارئ أن يلم بالأحداث قدر الإمكان .

ومهما يكن من شيء فالرجوع إلى أصل القصة أفضل وأيسر .

أ ـ : عرض تطور الأحداث(٢) :-

بدأ الكاتب قصته تلك بتمهيد دقيق، يدفع القارئ إلى التمعن والتتبع ، وذلك من خلال تسجيل قصة حياة الشاعر الفارس (أبي فراس الحمداني ، في مضمون فني واقعي، بدأها من طفولته ، وانتهى عند مقتله على يد ابن أُخته الخليفة (سعد الدولة) .

---

(١) كتب وشخصيات : سيد قطب – ص ١٩٢ – دار الشروق – الطبعة الثالثة – ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .

(٢) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٧: ٩٤. دار الشروق. ط:الأولى.سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

قُتِل (أبو العلاء الحُسَيْن بن سعيد الحمداني) عام ٣٢٣هـ ، تاركًا وراءه طفلاً صغيرًا يُسمَّى (أبا فراس) ،الذي نشأ بمدينة (منبج) الشَّامية ، في كنف أخيه (الحُسَيْن) ، وفي رعاية (أم) رؤوم(١) ، تظلُّه بجناحها ، وتغذوه بحنانها . وكان (الحُسَيْن) يثير في نفسه الاعتزاز بقومه وبتاريخه المجيد ، ويحفِزه إلى العظمة والسيطرة والبطولة .

فـ(أبو فراس) درج في بيت من بيوت العز والشرف ، وتربى على الأخلاق الفاضلة ،فهو من سُلالة (الحمدانيين) ذات السيادة والمكانة الكبرى في بلاد الشَّام كلها .

ثم تابع الفلك دوراته ، وتعاقبت سنواته ، والأمير الصغير في كل يوم تتفتح مواهبه ، وتتجلى مخايله كالزهرة تحس بأنفاس الربيع فتتمايل فوق غصونها ، وكالنجم يمتد به الليل فيزيد تألقًا وسطوعًا ....

فكان جديرًا أن تُعقد به الآمال ، وأن تترقَّبَه مناصب الرياسة ، وتتهيأ له صدور المحافل ....

وبعد سنوات يشب أبو فراس عن الطوق ، ويُصبح واحدًا من أقوى الشباب في (منبج) ، وأوفرهم جسدًا ، وأكثرهم حيوية وجمالاً ، وفي هذه الأثناء يستدعيه زعيم الدولة الحمدانية ، وابن عمِّه ، وزج أخته (سيف الدولة) إلى مدينة (حلب) مقر الخلافة ليكون واحدًا من قواده في الحروب ضد القبائل العربية المتمردة ، والجيوش الرومية المتنمرة ، فقال له :-

لقد دعوتَ يا بن العم مُجيبًا ، واخترت أمضى سيوفك حدًّا ، وأصلبها مَكْسيرًا ، ولم يخلق الله بني حمدان إلا لبذل الرَّغائب ودفع النوازل ، وإن هذا المُلك الذي بنيناه بسيوفنا سنصونه بسيوفنا وأرواحنا ، لقد كنتُ أتحرَّق شوقًا إلى خوض المعامع ، وآسف لسيفي وهو يكاد يصدأ في غمده ، فإذا دعوتني اليوم إلى نصرتك ونصرة البيت الحمداني الكريم ،

---

(١) رؤوم : ذات عطف وحنان .

فإنما تدعو إلى الماء هَيْمَان ، وإلى الطعام سَغْبَان . إن السيف الذي يسعَد بالحروب إلى جانب سيف الدولة لسيد السيوف ...

عاش (أبو فراس) بحلب في ظلِّ الرَّفْه والنعيم ، واختلط بفُرسانها وشعرائها ، فكان النجم المتلألئ بين الفريقين ، والمفرد العَلَم في الحَلْبَتَيْن ، ولقي في كنف (سيف الدولة) من بُعد المكانة ورفاغة العيش(١) ، ونفوذ الكلمة ، ما تطيب به نفس الكريم ..

وهكذا ظهر نجم هذا الفارس الشاعر في المعارك الحربية والندوات الأدبية ، فكان واحدًا من أهم القواد في جيش ابن عمه سيف الدولة ، وكان شاعرًا كبيرًا تفوق على كثير من أمثاله من شعراء الشام .

فلا غرو إذن أن يختاره (سيف الدولة) قائدًا لجيوشه العربية الجرارة التي تخوض الحروب العربية الرومية التي كانت مشتعلة الأوار وقتئذ ، أظهر (أبو فراس) من خلالها بطولات نادرة، وشجاعات فائقة . ومن ثم تنمر الأعداء كثيرًا ، وأوقعوه في الأسر عدة مرَّات .

وكان (سيف الدولة) يفرج عنه بدفع الفدية ، ولكن في إحدى المرات تركه نتيجة الدسائس والمؤامرات التي كانت تحمله عليه .

ففي إحدى المعارك الجهادية الأخيرة التي كان يقودها ذلك الفارس الشجاع ضد الروم المغيرين على حلب سنة ٣٥١هـ ، وقع القائد الهمام في الأسر ، فأساء إليه الروم أول الأمر ، وخشنوا في معاملته ، فكان لا يسعده في قيده إلا الشعر يرسله مع أنات الحنين ، وكان يبعث إلى ابن عمِّه (سيف الدولة) بطويل القصائد يستحثه على افتدائه ، ويصف إليه حاله ... ولكنه لم يستجب لنداءاته ، وتركه يُعاني ذُل الأسر في بلاد الروم ، نتيجة الدسائس والمؤامرات التي نسج خيوطها أعداء الدولة .

ولم ينقذه سوى زوجه (نجلاء الخالدية) ببعض الحيل ....

---

(١) رفاغة العيش : اتساعه ولينه وهناءته .

وتمر الأيام ويموت (سيف الدولة) ، ويتولى الأمر من بعده ابنه (أبو المعالي) سعد الدولة ، وكان صغيرًا ضعيفًا ، فتحكم (قرعويه الغلام) الرومي في الأمر ، وأخذ في تسيير دفة الأمور لصالحه ، فملأ صدر الخليفة الصغير ــ استمرارًا لما كان يفعله مع والده ــ حقدًا على خاله (أبي فراس) ، حتى كثرت العداوات والإحن بينهما ، انتهت بقتله عام ٣٥٧هـ .

*** **** ****

ب ـ الفكرة والهدف :-

تصوير الأحداث التاريخية الواقعة بين عامي٣٢٣ ــ٣٥٧هـ . وكانت كالتالي :

١ ــ قتل (أبي العلاء الحُسَيْن بن سعيد) بعد توليه إمارة (الموصل) من قِبَل الخليفة العباسي (الرَّاضي) .

٢ ــ تسلل (العجم) إلى مناصب الدولة العباسية العُليا ،مما أضعفها ، وجعل الروم يتربصون بالعرب .

٣ ــ هزيمة (الإخشيد) في حلب ، وانتزاعها منهم ، وفتحها على يد (سيف الدولة الحمداني) سنة ٣٢٣هـ .

٤ ــ موقعة (حصن برزويه) عام ٣٣٧هـ ،بين سيف الولة والجيش الرومي .

٥ ــ موقعة (سروج) ، التي قادها (أبو فراس) من قِبَل ابن عَمِّه (سيف الدولة) عام ٣٤١هـ .

٦ ــ موقعة (ملطية) ، التي قادها (سيف الدولة) ، ضد الروم عام ٣٤٢ هـ .

٧ ــ موقعة (حصن الحدث) ، التي قادها (سيف الدولة) ، ضد الروم عام ٣٤٣ هـ .

٨ ــ أسر (أبي فراس) في موقعة (خرشنة) عام ٣٤٨هـ ، بعد هزيمته فيها .

٩ ــ هزيمة (سيف الدولة) بعد هجوم الروم على (حلب) ، وأسر (أبي فراس) مرة أخرى .

١٠ ــ موت (سيف الدولة) ، وخلافة ابنه (أبي المعالي سعد الدولة) له .

١١ ــ انتصار جيش الخليفة (سعد الدولة) على جيش خاله (أبي فراس) ، وقتله سنة ٣٥٧هـ .

**** **** ****

ثانياً : الشاعر الطموح

أ ـ : عرض تطور الأحداث(١) :-

صور الكاتب في هذه القصة حياة شاعر العربية الكبير (أبي الطيب المتنبي)، لا سيما أواخر أيامه في (حلب) ، عند (سيف الدولة) ، وانتقاله إلى مصر لدى (كافور الإخشيدي) ، ثم فراره منها ليلة العيد هروبًا من بطش هذا الوالي الإخشيدي، الذي كان قد عزم على قتله نتيجة للدسائس والمؤامرات .

اتخذ (سيف الدولة) من المتنبي ، الشاعر المُفضّل للدولة ، وندیمه الدائم في حلِّه وترحاله،وقد أثار ذلك غيرة أقرانه من الشعراء ، أمثال (أبي العباس النَّامي ، وأبي فراس الحمداني ، وأبي الفرج السَّامري ، وأبي الحُسَيْن النَّاشئ ، وأبي القاسم الزَّاهي ،.. وغيرهم ...) ، مما دفعهم إلى نسج الدسائس ، وحوك المؤامرات له عند (سيف الدولة) .

---

(١) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص٩٥ : ١٨٨. دار الشروق . ط : الأولى . سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .

وأخذ (سيف الدولة) يفكر في أمر المتنبي ، وقد تراكمت عليه الهموم ، وانتابته الظنون ، وعبثت به الهواجس ، فهو مرة يرى أن أبا الطَّيب صناجة مُلكه ، وناشر فضله ، وأنه الغاية التي تتقطع دونها أنفاس الملوك ، والحلم الذي يتطلع إلى تحقيقه كل أمير ، وأنه أشعر مَنْ رددت أصداءه آفاق العرب ...

ولكنه لا يفتأ حتى تهجم عليه الوساوس من كل مكان صارخة عاوية وهي تصيح : ما هذا التَّدلي إلى الحضيض ؟ وما هذا الاستخذاء لشاعر مجنون بالعظمة ، تيَّاه على الملوك ؟ .

ثم تابع الفلك دوراته ، وتعاقبت الأيام والشهور وتزداد الدَّسائس ، ويتحول التردد في نفس (سيف الدولة) إلى كُرْهٍ لهذا الشاعر،وغَيْظٍ منه ، ولذلك تجاهله تمامًا ، ومنع عنه كثيرًا من عطاياه، وترك للخصوم الحرية حتى استطالوا عليه في حضرته .

مثلما فعل (ابن خالويه) به في مجلس (سيف الدولة) ، نتيجة لاختلافهما في بعض الأساليب الواردة لدى الشاعر؛فقد غضب (ابن خالويه) ، وأخرج من كُمِّه مفتاحًا من حديد ، فصك به (المتنبي) في وجهه،فأسال دمه ، فنظر (أبو الطيب) حوله ، فلم ير من (سيف الدولة) استنكارًا ولا أسفًا ، فخرج من عنده كالبعير الصائل ، وقد عزم على ألا يكون ثالث الأذَلَّين عَيْر الحي ، ووتده ، وجعل يردد :-

فَلا عَبَرَتْ بِي سَاعَةٌ لا تُعزنني وَلا صَحَبَتنِي مُهْجَةٌ تَقبَلُ الظلْمَا

لم يجد (المُتنبي) بُدًّا من أن يلزم داره أيامًا يُفكر ويُدبر ، ويبحث عن طريق للفرار من (حلب) ، وهو يعلم أن (سيف الدولة) سيسد دونه المنافذ ، ويسأل عنه الفلوات ، وأنه سيرسل عيونه في كل مكان تتعقب خطواته ، ويترسم آثاره .

فكر أولاً في الذهاب إلى (حمص) ، ولكنه رأى أنها من أملاك (سيف الدولة) ، وأن الفرار من (حلب) إليها ، ليس إلا كما ينتقل الطائر الحبيس في قفصه من ركن إلى ركن .

ثم فكر في أن يُصارح (سيف الدولة) بأن ثواءه طال في (حلب)، وأنه يعتزم الرحيل عنها ، وأن يُنشئ قصيدة فريدة في مدحه وتوديعه ، ولكنه رأى بعد طول التفكير ، وتقليب الرأي أن (سيف الدولة) لم يصل به البَلَه إلى أن يطلق من يده شاعرًا تتنافس في احتيازه ملوك الأرض . يرسله من يديه ليُغنِّي بمجد منافسيه ، ويطلق لسانه المُر بهجائه والإزراء بمُلكه . إنه إن صارح (سيف الدولة) بهذا فليس لذلك من عاقبة ، إلا أن يعتقله وينكل به ، ويقضي على آماله الجسام .

فكر (المُتنبي) طويلاً ودبَّرَ طويلاً ، حتى هداه التفكير إلى أن يتحين غفلة من الأمير ، ويفرَّ إلى دمشق . فأظهر الود لـ(سيف الدولة) ، وأكثر من زيارته ، ثم التمس منه أن يأذن له بالسفر إلى إقطاعه بـ (معرَّة النعمان) ، فأذن له .

لمَّا وصل الأمر إلى هذا الحد من عدم المُبالاة لدى (سيف الدولة) ترك (المُتنبي) (حلب) ، وقد حفزه على ذلك عدم تحقق طموحاته في الولاية والمُلك لدى هذا الأمير العربي ، ثم اتجه إلى (دمشق) ، ومنها إلى (الرملة) ، وأقام في كنف (الحسن بن طغج) ، فأكرم وفادته ووصله ، فأجزل الصلة . ثم اتجه إلى (الفسطاط) بمصر ، عند القائد (كافور الإخشيدي) ، وهناك استقر به المُقام ، وأخذ يتردد على الوالي لمدحه ، والإشادة به ،عساه أن يُحقق طموحه في الولاية ، وقد صنع ذلك كله على الرغم من عدم اقتناعه بشخص الوالي ، أو بأحد من أتباعه ؛ فقد قال عنهم لولده (محسد) :-

دخلت يا بني على أَمَةٍ حُبْلَى ــ كافور ــ يسجد أمامها صناديدُ الأبطال ، ويخضع لإشارتها دُهاة الرجال . جلس فوق عرشه ، فرأيت في ثيابِ أميرٍ قِرْدًا عيناه عَيْنَا ثعلب ، وإطراقه إطراق ثُعبان .

أما ابن الفرات : فثقيل متعال متعاظم،نظر إليَّ في كبرٍ وجبرية ، كأنه ينظر إلى شاعرٍ مجتدٍ أفَّاق . سُحقًا لهم ، وسُحْقًا للزمان الذي قذف بي إليهم ، والله لكأني أشعر أني جئت لأهجوهم لا لأمدحهم ، وكيف تنبسط نفسي لمديحهم ، أو يتحرك لي لسانٌ بالثناء عليهم ؟ إن مدح الأَسْوَدِ سيخلق في الشعر فنًّا جديدًا ....

لم تكن حياة (المتنبي) في (مصر) هادئة مستقرة ، حيث لاحقته ــ كالعادة ــ الدَّسائس والمؤامرات، مما أغلق عليه الأبواب التي تحقق أمانيه ؛ فلم يجد بُدًّا من الفرار إلى (أبي شجاع فاتك) بمدينة (الفيوم) ، واتصل به ومدحه ، وتعاهدا على التخلص من (الإخشيد) ، والظفر بمُلك (مصر) ....

ولمَّا علم (كافور) بذلك عزم على قتل هذا الشاعر المغرور في أعقاب العيد ، ولكن (المُتنبي) علم بهذا الخبر من بعض أصدقائه المقربين لـ(كافور) ، فقرر الفرار ليلة العيد التي ينشغل فيها الناس بأمورهم ؛ وكان له ما أراد .

**** **** ****

ب ـ : الفكرة والهدف :-

اهتم الكاتب في هذه القصة بتصوير وقائع تاريخية حقيقية جرت في الفترة ما بين عامي : (٣٤١ ــ ٣٥٠هـ) ، في بلاد الشام ومصر ، من أهمها :-

١ ــ لقاء الجيش العربي،والجيش الرومي على الحدود العربية عام ٣٤١هـ .

٢ ــ غزوات الجيش الرومي المستمرة علـــى أرض العـــرب ، وإجهـــاض (سيف الدولة) هذا الطموح الاستعماري .

٣ ــ الصراع الدائم بين (أبي شجاع فاتك) ، وبين (كافور الإخشيدي) للفوز بحكم مصر .

٤ ــ موت (شبيب العقيلي) مسمومًا بعد معركته ضد (كافور الإخشيدي) ...

**** **** ****

ثالثاً :خاتمة المطاف

أ ـ عرض تطور الأحداث(١) :-

تناول الكاتب في هذه القصة الأحداث الأخيرة مـــن حيـــاة الـــشاعر العربي (أبي الطَّيب المُتنبي) ، ليُكمل بها أحداث القصة الفائتة ، حيث قـــدم كثيرًا من تفاصيل سيرة ذلك الشاعر الطموح بعد فراره من (مصر)، إلى أن قُتِلَ في (دير العاقول) .

فقد خرج من مدينة (الفسطاط) ، في ظـــلام الليـــل ، بعـــد أن ودَّع أصدقاءه المُقربين من أهل مصر ، إلى مسقط رأسه في بـــلاد (العـــراق) ، وتقدم (المُتنبي) الرَّكب ، وخلفه (محسد ، ومسعد) ، وكان ينظر إلى الأُفُـــق البعيد حيران ذاهلاً متجهم الوجه،حزين النفس ، يُردد الحسرات ، ويرســـل الزفرات ....

يصل (المُتنبي) إلى الكوفة ، ويستقبله أهله ، وعلى رأسهم زوجـــه (فاطمة) ، بالبشر والترحاب ، وهناك يعزم على عدم السفر مـــرة أخـــرى ، والاكتفاء بما عاناه من آلام الغربة من أجل طموحاته التي لم تتحقق . غير أنه لم يستطع تنفيذ ذلك ، فما إن دعاه صديقه (علي بن حمزة) إلى زيـــارة (بغداد) ، وزيَّن له مقابلة (عز الدولة) ، ووزيره (المُهلبي) ، ومنَّاه بتحقيق

---

(١) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ١٨٩ : ٢٧٢ .

أُمنياته في رحابهما حتى وافق مسرعًا ؛ أعد الرَّكائب مسرعًا متلهفًا ، وقَبَّل زوجه ، ثم صاح : في وديعة الله ، وامتطى جواده وهو يُردد :-

لَيسَ التَّعَلّل بِالآمَالِ مِنْ أَرَبِي ... وَلا القَنَاعَة بِالإقْلالِ مِنْ شِيَمِي

وَلا أَظُنّ بَنَات الدَّهْرِ تَتركني ... حَتَّى تسد عَلَيْهَا طرقها هِمَمِي

وفي القصر قابله (المُهلبي) مقابلة فاترة ، ولم يعقد له ميعادًا لملاقاة الخليفة (معز الدولة) ، فخرج (المُتنبي) مَغيظًا ساخطًا،لأن (المُهلبي) لم يُحسن لقاءه كما يُحب ، ولم يستجد مدحه كما كان يؤمل ؛ واشتد غضب (المُهلبي) على (المتنبي) لأنه لم يمدحه ، ولأنه أظهر الصلف والتيه مالا يجمل مجالس الوزراء ، فصمم العزم على الكيد له ، وتلقينه درسًا لا ينساه ، في وجوب التطامن للوزراء ، والخضوع للعظماء .....

وقد تمخض عن هذه المقابلة صراع نفسي في أعماق (المُتنبي)،وقرر العودة إلى (الكوفة) مرة أخرى، عازمًا على ملازمتها ، وعدم مبارحتها مهما كانت الأسباب ؛ ولكن طبيعة تكوينه الطموحة جعلته ينسى عهوده مرة أخرى . حيث خرج مرة أخرى ضاربًا الأرض نحو بلاد (فارس) عند (ابن العميد) ، الذي ألح في زيارته .

قضى الشاعر شهرين في ضيافة (ابن العميد) محفوفًا بصنوف الإكرام والرعاية ، لكن نفسه الملول أبت عليه أن يركد في مكان كالماء الآسن ، فاغتنم لقاء الرئيس ، واستأذنه في الرحيل ، ولكن (ابن العميد) فاجأه بأن (عضد الدولة ملك شيراز) يُلح في قدومه إليه،ويتشوف إلى لقائه ، وأنه بعث إليه بهدايا لم تظفر بمثلها الملوك ....

ذهب (المُتنبي) إلى (ملك شيراز) ، وقضى عنده مدة قصيرة ، ومدحه وأشاد به في العديد من القصائد ؛ وناله من التكريم والعطايا فوق ما كان يتمنى .

وتمر السنون ، ويحن (المُتنبي) إلى وطنه وأهله ، فاستأذن في العودة ، فوفق الملك ، وفي الطريق إلى بلاده انتظرته فئة شرسة من (القرامطة) ، الذين قاتلهم قبل ذلك وهجاهم بشعره ، وتربصت له في مكان بالقرب من (بغداد) ، يُسمَّى (دير العاقول) ، وما إن وصله هو ومَنْ معه من الأهل والعبيد حتى أعملوا فيهم القتل ، فسقطوا واحدًا تلو الآخر ، وقد كان (المُتنبي) هو آخر مَن لقي حتفه ، حيث ظل يُقاتلهم في شجاعة وبسالة حتى اجتمعوا عليه في النهاية ، وأراقوا دمه ، وسلبوا أمواله وهداياه التي جمعها من بلاد (فارس) ، وكانت خاتمة المطاف هذه في نهاية شهر رمضان عام ٣٥٤هـ .

****

ب ـ الفكرة والهدف :-

صور الكاتب في هذه القصة وقائع تاريخية متصلة بتاريخ (مصر ، والعراق ، وفارس) ، في العهد العباسي ، في الفترة بين عامي : (٣٥٠ ـ ٣٥٤هـ) ، وكان من أهمها :-

١ ـ القضاء على (كافور الإخشيدي) بعد مؤامرة (فاتك) لإنهاء حكمه لمصر .

٢ ـ حكم (القرامطة) الفاسد في (الكوفة) ، في منتصف القرن الرابع الهجري .

٣ ـ خروج (سيف الدولة) لملاقاة الروم على الحدود العربية .

**** **** ****

رابعاً : شاعر ملك

أ ـ عرض تطور الأحداث(١) :-

استمد الكاتب أحداث هذه القصة ، من قصة تاريخية حقيقية ، وهي قصة الشاعر الأندلسي الشهير الملك (المعتمد بن عبَّاد) .

وقد بدأها الكاتب من لحظة ميلاده ، حتى وفاته .

ففي ليلة كثيرة الأنواء من ليالي ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة للهجرة ، وُلِدَ (المُعتمد بن عبَّاد) ، في مدينة (باجة) الأندلسية . وبعد مولده جلس الأمير (عبَّاد) إلى جانب سرير زوجته ، (طاهرة بنت مجاهد العامري) ، طالبًا رؤية الغلام ، فحملته بين زراعيها في رفق وحنان،وكشفت عن وجهه غطاء من الحرير الرَّقيق ، وقالت : إنه جميل وسيم يا مولاي ... إن فيه كثيرًا منك ،وكثيرًا مني .

وأقبل أهل المدينة من كل حدب وصوب لمشاركة أميرهم في سعادته بمولوده الجديد . وتقدم إليه رجال الدولة ، ورؤساء الجند بالتهنئة والدعوات بتمام الإقبال ، وسعادة المولود ، ثم تقدم الشعراء فأنشد كل منهم ما كان أسرعَ في إعداده ، وكان فارس حلبتهم في هذه المناسبة (أحمد الأنصاري) ، الشاعر الذي أنشد قصيدةً سينيةً ، كانت غاية في الإبداع . منها :-

أَصَاخَت الخَيْلُ آذَانًا لِصَرْخَتِهِ وَاهْتَزَّ كُلُّ هِزَبْرٍ عِنْدَمَا عَطَسَا

وَآثَرَ الدِّرْعَ مُذْ شُدَّتْ لَفَائِفُهُ وَأَبْغَضَ المَهْدَ لَمَّا أَبْصَرَ الفَرَسَا

وبعد أن انصرف القوم ، دعا الأمير المنجمين ليروا طالع المولود .. وبعد أن نظروا في أسطر صحائفهم ، وقلَّبوا في كُتبهم ، أقبل بعضهم على بعض يهمسون : ماذا نقول للأمير ؟ فقال أحدهم : إن الطَّالع سيئ .

---

(١) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٤٢٧ : ٥٠٤ .

وهز آخر رأسه في أسف قائلاً : إن ما تقوله حق أبا الحُسين .... ويجب أن نُظهر البِشر والابتسام ، وحُسن التفاؤل ، ونُبلغه بأن الطالع سعيد .... فخرجوا على هذا الرأي .

دار الفلك دورته ، ومضى نحو سنتين من ولادة (محمد بن عبَّاد) ، وتوفى جده الأكبر ، فانتقل أبوه إلى العاصمة (أشبيلية) ، وتقلَّد الخلافة ، وأطلق على نفسه لقب (المعتضد) .

استقر المُلك للمعتضد ، وتتابع الانتصار ، وتوالت الأيام ، وبلغ (محمد بن عبَّاد) الحادية عشرة ، وكان قد أتقن القراءة والكتابة ، وشدا في مبادئ العلوم ، فأحضر له أبوه في القصر خير الأساتذة بالأندلس لتثقيفه وتلقينه ؛ وقد استمرت دراسته ست سنوات ، خرج بعدها كامل التثقيف ، وافر العدَّة للمُلك والرِّياسة . مما جعل أبوه يختاره لولاية العهد ، ولقبه بـ(المعتمد) .

ويُقرر إرساله على رأس جيش له لإنقاذ أهل مدينة (مالقة) من أميرهم الظالم (باديس بن حبوس) .

رحل (المعتمد) ، وأخوه (جابر) يقودان جيشًا عظيمًا،فدان لهم البلد ، وخضع أهله ، إلا فلولاً من السُّودان لاذوا بالفرار ، فأشار أهل المدينة على (المعتمد) بالاحتراس منهم ، وأن يكون جيشه على أهبة الاستعداد والحذر ، فلم يلق (المُعتمد) لهذه النصيحة سمعًا ، وقضى ليلته في لهو ومجون .

وقضى السُّودان ليلتهم في بث الرُّسل لـ (باديس) ، والاستنجاد به ، فجاءهم في جيوش زاخرة، وفتك بجيش (المُعتمد) ، وانتهب ذخائره وأثقاله ، وفرَّ (المُعتمد) ، وأخوه إلى (رندة) ، يجران ذيل الخزي والعار ، ويرهبان صولة أبيهما الجبَّار .

كان (المُعتمد) فـــي حيرة من أمره ، فقال لأخيه : مـــا نـــصنع يـــا (جابر) ؟؟ إني أوثر أن أغمد سيفي هذا في صدري ، علـــى أن أرى وجـــه (المعتضد) .

وبعد استعطاف كبير من (المعتمد) وأخيه ، واعتذار عن التقصير ، صفح (المُعتضد) عن وَلَدَيْهِ، وأمرهما بأن يتجه (المُعتمد) من (رنـــدة) إلـــى (شلب) واليًا عليها ، وأن يعود (جابر) إلى (أشبيلية) مقر الخلافة .

سافر (المُعتمد) إلى (شلب) متمتعًا برضاء أبيه ، ... وفي المدينـــة كان يقضي النهار في تصريف شئون الدولة ، وإصدار الأوامر فـــي حـــزم وســـداد ،ورفق وتؤدة ؛ ويقضي الليل في قـــرض الـــشعر ، أو مُجالـــسة الحِسان ، وإلى جواره في كل ذلك جمع كبير من السُّمَّار والشعراء ، وعلى رأسهم (ابن عمَّار) ، الشاعر الأندلسي المعروف .

ثم عـــاد (المُعتمد) إلى (أشبيلية)،بدعوة من أبيـــه ، حتـــى يكـــون بجانبه ، وتحت عينيه؛ولم يمض وقتًا طويلاً حتى تزوج الفتى من (اعتمادا) جارية (الرُّمَيْك بن حجاج) ، التي سلبت فؤاده ، وملأت وجدانه .

وتمر السنون ، ويتولَّى (المُعتمد) الخلافة بعد مـــوت أبيـــه ؛ وعنـــدما جلس على العرش ، أقبل عليه الناس من جميع أقطـــار الأنـــدلس مهنئـــين متيامنين بهذا الأمير الشاب، العربي الوسيم . وجـــاء الـــشعراء للإنـــشاد ، وبينهم (أبو الوليد بن زيدون ، والداني ، وابن وهبون ، وعلي الحـــصري الكفيف ، والنحلي ....) . واستمر (المُعتمد) وهـــو هـــانئ البـــال مـــستقيم الأمر ، في تصريف شئون الدولة ،مُقيمًا مراسيم المُلك في عظمة وإجلال ، حتى هابته الملوك ، وأحبته الرعية ، وأصبح اسمه يـــدوي فـــي الأنـــدلس مقرونًـــا بالثنـــاء ، محفوفًـــا بالإكبـــار . غيـــر أن ســـرعان مـــا تقلبـــت الأحوال،وانتقلت من سيئ إلى أسوأ ، حتى أقـــام معاهدتـــه الـــشهيرة مـــع (الأذفونش) ، وخضع لشروطه ؛ حتى أنقذه زعيم المُرابطين (يوســـف بـــن

تاشفين) ، بعد أن استنجد به ، فجاء إليه من (مُراكش) ، وانـــضم إليهمـــا عدد من ملوك الطوائف ، فهزموا ذلك المتغطرس فـــي معركـــة (الزلامـــة) .وبعد أن ضعف ملوك الطوائف ، وجد (ابن تاشفين) الفرصة سانحة لكـــي يقيم دولته في بلاد الأندلس ، وقضى على ملوك الطوائف واحدًا تلو الآخـــر ، وكان (المُعتمد) في مقدمتهم . حيث قتل أولاده الـــذكور ، وأســـره هـــو وزوجته وبناته ، وظل (المُعتمد) في أسره حتى وافته المنية عام ٤٨٨هـــ . وانقضت دولة (بني عبَّاد)،وقامت دولة (المرابطين) .

****

ب ـ الفكرة والهدف :-

يقدم الكاتب في هذه القصة عدَّة وقائع تاريخية مهمة ، دارت رحاها في بلاد الأندلس ، في الفترة من ٤٣١ هـ إلى ٤٨٨هـ . وهي فترة حياة (المُعتمد بن عبَّاد) . ومن أهمها تصوير الوقائع التالية :-

١ ـ الصراع الذي أوقعته الفتنة بين (سليمان) المُلقب (بالمستعين)، وبين (محمد بن هشام المهدي) ، في قرطبة .

٢ـ هزيمة (المعتمد) في مدينة (مالقة) ، وفراره إلى (رنده) خوفًا من أبيه (الخليفة) .

٣ـ تحيّن الأسبان أي فرصة للقضاء على دُويْلات المسلمين وقتئذ .

٤ـ تولي المعتمد إمارة (أشبيلية) ، بعد موت أبيه (المُعتضد).

٥ ـ هزيمة المعتمد أمام جيش (الأذفونش)،وسقوط (طليطلة) .

٦ ـ مؤازرة (ابن تاشفين) زعيم المرابطين (للمعتمد) ، ضد (الأذفونش) .

٧ ـ قيام دولة (المرابطين) علـــى أطـــلال دولـــة بنـــي (عبَّـــاد) ، وقتـــل ملوك الطوائف واحدًا بعد الآخر .

خامساً : هاتف من الأندلس

أ ـ عرض تطور الأحداث(١) :-

اهتم الجارم في هذه القصة بتصوير وقائع تاريخية حقيقية عن حياة الشاعر الأندلسي الكبير (ابن زيدون) ، وقد بدأها من مرحلة شبابه ، واستمرت حتى وفاته .

عاش (ابن زيدون) في مطلع شبابه في مدينة (قُرطبة) ، التي استولى عليها (أبناء جهور) ، وأسسوا في رحابها دولتهم ، وأقاموا أركانها على يد (أبي حزم) عميد الجماعة .....

وكان هذا الشاب الشاعر محافظًا على حضور الندوات الأدبية ، وعن طريقها تعرف على شخصيات كثيرة كان لها أثر كبير في حياته ، على رأس هذه الشخصيات (نائلة الدمشقية ، وولادة بنت المُستكفي ، وأبو الوليد بن عميد الجماعة ، وأبو حفص بن برد ، وابن عبدوس) ..

ويدور الفلك دورته،وتجوب شهرة (ابن زيدون) ، فيبعث إليه (عميد الجماعة) ، ويصطفيه إلى جواره ، ويجعله واحدًا من أهم شعرائه ووزرائه ، وقد قال له في اللقاء الأول :-

(لقد اجتمع الوزراء في هذا الصباح ،وأسندوا إليك منصب الوزارة ، ورأيت إلى ذلك أن تُلقَّب بذي الوزارتين ، لأنك ستكون وزيري وسفيري إلى أمراء الأندلس) .....

أصبح (ابن زيدون) من علية القوم في (قرطبة) ، وأخذ يتقلب في النعيم ، ويحيا حياة الملوك والعظماء،وفي هذه المرحلة تعمقت صلته بـ(ولادة بنت المُستكفي) ، وازداد حبه لها ، فقام بخطبتها ، استعدادًا للزواج منها ....

---

(١) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص٥٠٥ : ٦٦٦.

ومع بزوغ نجمه في سماء (قُرطبة) ، كثر حاسدوه ، والناقمون منه، فنسجوا له مؤامرة دنيئة تسببت في الإيقاع بينه وبين (ابن جهور) ، ثم في الزج به في غياهب السجن ، وعلى الرغم من كونه مظلومًا أخذ يعتذر لـ(ابن جهور) ، ويستعطفه ، ويتوسل بكل ذي منزلة ، ويرسل له القصائد التي تفصح عن ذلك ، ولكن دون جدوى ، حيث ظل (ابن جهور) على موقفه، وصمم على ما أراد ....

استمر (ابن زيدون) في السجن يُعاني آلام الأسر ، وذل القيد ، ولا يُخفف من ذلك على نفسه إلى هذه الزيارات المنتظمة التي كانت تقوم بها محبوبته (ولادة) ، وصديقته (نائلة الدمشقية) ؛ وفي إحدى هذه الزيارات كانت نفسية (ابن زيدون) قد بلغت أقصى درجات اليأس والقنوط ، ولذلك قامت (ولادة) بصنع حيلة لإخراجه من سجنه ، ومساعدته في الهرب من (قُرطبة) كلها ، ثم قالت له :-

إننا نبعث إليك بالطعام في كل يوم ، وسيكون بين ألوانه في الغد طبق من (الفالوذج) خُلِطَ به عقار مخدر ، فإذا حمله إليك السَّجان فأظهر الرضا عنه ، وكافئه بطبق (الفالوذج)، فيلتهمه ،وعليك بالباقي . فوثب (ابن زيدون) نحو (ولادة) يُقبِّلُها من جبينها ويصيح :

أنت ملاك كريم يا سيدتي!عجبًا كيف غاب عنا مثل هذه الحيلة ! فالتفتت إليه (نائلة) وقالت :-

وإذا تم خروجك من السجن سالمًا فاذهب إلى دار ابنة خالي ، وهي ملاصقة لدار (ابن الحنَّاط) الكفيف ، فاختف عندها حتى ندبر وسيلة للفرار من (قُرطبة) ، وسأخبرها الليلة حتى لا تندهش للقائك ، ولا تخش عندها شيئًا ، فهي تعيش مع خادم عجوز بلهاء زادتها السن خرفًا وبلاهة .....

هرب (ابن زيدون) من السجن ، وذهب متخفيًا إلى الدار المتفق عليها ، ولكنه لم يستطع مغادرتها ، حيث أخذ أتباع (ابن جهور) في البحث

عنه بعد علمهم بفراره ، وأحكموا الرقابة على شوارع المدينة ومنافذها ، ومع مرور الوقت ، وكثرة البحث ، وانتشار الجواسيس ، توصل القوم إلى مكانه،وفي الليلة التي حددوها للقبض عليه ، يموت (أبو الحزم ابن جهور) ، ويلي الخلافة من بعده ابنه (أبو الوليد) ، وقد كان هذا الرجل صديقًا لـ (ابن زيدون) ، وكان على علم تام بظُلمه ، ولذلك عفا عنه ، وأطلق سراحه ، بل أنه أدناه منه ، وجعله أحد مستشاريه .....

بزغ نجم (ابن زيدون) في سماء (قُرطبة) مرة ثانية ، حيث عادت له حريته ، ورجعت له منزلته ، وأصبح هانئ البال ، سعيد النفس ، قريبًا من محبوبته (ولادة) ، وقد أغضب هذا خصومه وأعداءه مرة ثانية ، فأوغروا صدر الخليفة عليه ، فتغيرت معاملته له ، وفترت علاقته به .....

حينما وصلت الأحداث إلى هذا الحد خشي (ابن زيدون) على نفسه من مصيره السابق ، فترك (قُرطبة) كلها ، واتجه نحو (أشبيلية) بالاتفاق مع (ولادة ، ونائلة) ، وهناك التقى بملكها (المعتضد بن عبَّاد ابن محمد) ، وعاش في كنفه مُعززًا مُكرَّمًا ، وأخذ في مدحه بغرر القصائد ..... حتى تحدثت حِسَان (أشبيلية) بقدومه ، وودت كل ذات وجه صبيح أن تسعد بأبيات من غزله تُباهي به صواحبها، وتدل بها على خطابها ، فقد سبقه إلى (أشبيلية) شعره في (ولادة) ، فرددته جنباتها ، وأنشده المُنشدون ، وغنَّى به المغنون .....

لم ينس (ابن زيدون) عهد (ولادة) ، ولم يزده تنائي الديار إلا شغفًا بها ، وهُيامًا بذكراها ، وكان إذا طواه الليل وقف بنافذة داره ، ولمح البرق المؤتلق في شمال الأفق،وتلقى الرياح السارية من نحو (قُرطبة) بليلة شذية ، فهاجت بلابله ، وثارت شاعريته فقال :-

أَضْحَى التَّنَائِي بَدِيلاً مِنْ تَدَانِينَا ... وَنَابَ عَنْ طِيبِ لُقْيَانَا تَجَافِينَا

إنَّ الزَّمَانَ الذِي مَازَالَ يُضْحِكُنَا ... أُنْسًا بِقُربِهِم قَدْ عَادَ يُبْكِينَا

غِيظَ العِدَا مِنْ تَسَاقِينَا الهَوَى قَدَعُوا بَأن نَغصَّ فَقَالَ الدَّهْرُ آمِينَا
فَانْحَلَّ مَا كَانَ مَعْقُودًا بِأَنْفُسِنَا وَانْبَتَّ مَا كَانَ مَوْصُولاً بِأَيْدِينَا

تعاقبت السنون ولحق (المعتضد) بربه ، وَخَلَفَهُ ابنه (المعتمد) ، وقد واصل احتفاء والده بـ(ابن زيدون) ، فقرَّبه منه،ووالى نعمه عليه ، وجعله مستشاره الأول ، وشاعره الأكبر .....

فكر (ابن زيدون) في اغتنام الفرصة ، فحث الخليفة على إعادة دولة العرب ، وتجديد شبابها ، وإعادة مجدها ، قائلاً :-

الطريق يا مولاي أن تستولي على (قرطبة) أولاً ، وأن تجعلها قصبة مُلك ، ثم تغير منها هذه الدويلات واحدةً في إثر أخرى ، والنصر يا مولاي يجلب النصر .....

اقتنع (المعتمد) برأي (ابن زيدون) ، وقام بإعداد جيش جرَّار لهذه المهمة ، يتجه نحو (قُرطبة) ، وقد كان (ابن زيدون) في مقدمته ....

انتصر الجيش (الأشبيلي) ، ودخل (المعتمد) وأتباعه المدينة ، والتقى (ابن زيدون) بمحبوبته (ولادة) ، ولكن هيهات ، لقد مر العمر في فراق دائم ، وعند اللقاء دنى وقت الرحيل من الدنيا كلها ، حيث عاش (ابن زيدون) أشهرًا قليلة ، ثم لقي ربه في عام ٤٦٣هـ .

**** **** ****

ب ـ الفكرة والهدف :-

تسجيل الوقائع التاريخية المستمدة من تاريخ الأندلس ، لا سيما الفترة من (عام ٤٢٣هـ إلى عام ٤٦٣هـ) ، ومن أهمها :-

١ ـ الإشارة إلى سياسة الحُكَّام العرب الضعيفة ، الذين تولوا قيادة (قُرطبة) ، فيما بين انتهاء الدولة العامرية ، وقيام دولة بني جهور .

٢ ـ إبراز سياسة عميد الجماعة (أبي حزم بن جهور) في حكم (قرطبة) .

٣ ــ تولي (ابن زيدون) شئون الوزارة في دولة (بني جهور) .

٤ ــ تباين سياسة ملوك الطوائف واختلافهم فيما بينهم ، مما شغلهم عن (الأذفونش) ، الذي يتربص بهم .

٥ ــ وفاة عميد الجماعة ، وخلافة ابنه (أبي الوليد) له في حكم (قرطبة) .

٦ ــ الإشارة إلى سياسة (المعتضد عباد بن محمد) في حكم إمارة (أشبيلية)

٧ ــ خلافة (المعتمد) لأشبيلية ، بعد موت والده (المعتضد) .

٨ ــ استيلاء (المعتمد) على (قرطبة) بالقوة ، والثأر من حكام بني جهور .

**** **** ****

سادساً : الفارس المُلثَّم

أ ـ عرض تطور الأحداث([1]) :-

اهتم الكاتب في هذه القصة بتصوير حكاية عربية واقعية ، تمثلت في قصة فتاة عربية (عائشة بنت هشام المخزومي) ، من أهل الشام ، ضربت أروع المُثل في الشجاعة والبطولة .

فقد أرادت تلك الفتاة المشاركة في الفتوحات الإسلامية بالأندلس، وخشيت أن تكون أنوثتها مانعة لها من تحقيق ذلك ، فتنكرت في ثياب فارس عربي ؛ وتقدمت نحو بلاد الأندلس ، وعزمت على اللحاق بالجيش الذي يقوده خطيبها (المُغيث بن الحارث) ، والذي أرسله (الوليد بن عبد الملك) لمساعدة جيش (طارق بن زياد) في فتح هذه البلاد.

وصلت عائشة إلى مدينة (سبتة) الواقعة في الشمال الإفريقي على الشاطئ المُقابل لبلاد الأندلس ..... ، وهناك التقت بها (فلورندا) ، بنت (يوليان) حاكم هذه المدينة السابق ، وقد أُعجبت بها تلك الفتاة المسيحية على أنها فارس عربي ..... وحتى لا تكشف (عائشة) أمرها عملت على مجارتها ، وأخذت تبادلها كلمات الإعجاب ، وهمسات الغزل .....

([1]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص٦٦٧ : ٦٨٧ .

على أن إعجاب (فلورندا) هذا سرعان ما تحول إلى حب جـــارف ؛ ومن ثم عزمت على مصاحبتها في بقية الرحلة ، وتذرعت بأنها تريد رؤية والدها (يوليان) ، الذي صاحب جيش الفتوح في أعماق البلاد الأندلسية .

وبالفعل تصلا إلى مقر الجيش الإسلامي ، وتمـــضيان مـــع قوتـــه المتجهة نحو قرطبة لفتحها ، وفي الطريق تزداد (عائشة) تنكـــرًا ، فتُلـــثم وجهها ، وتتحاشى الاختلاط بالجند .....

كان لـــ(عائشة) دور مهم في فتح هـــذه المدينـــة ،حيـــث تـــسلقت الأسوار

العالية ، وفتحت بابها الرئيسي ، مما سهل من المهمة أمام الجيش ، الـــذي ملَّ من حصار هذه المدينة ، ومكث أشهرًا دون فتحها ..

وبعد الانتهاء من الفتح أراد قائد الفرقة (المُغيـــث بـــن الحـــارث) التعرف على ذلك الفارس المُلثم ، الـــذي ضـــــرب المثـــل فـــي البطولـــة والشجاعة ، وكان سببًا مباشرًا في فتح قرطبة ، فدلته (فلورندا) على مكانه إظهارًا لبطولة حبيبها ، ورفعةً لشأنه بين الجنود ، وهناك تَحْدُث المفاجأة ، فلم يكن هذا الفارس سوى حبيبة (المغيث) وخطيبته (عائشة) ، التي تركها في دمشق ؛ فقام بالتقاطها وضمها إلى صـــــدره ..... وتصعق (فلورنـــدا) من هول الموقف وضياع حبها ....

****

ب ـ الفكرة والهدف :-

قدَّم الجارم في هذه القصة صورًا من الوقائع التاريخية الحقيقية في بلاد الأندلس أثناء فتح العرب لها في عـــام ٩٢هـــ،وكانت علـــى النحـــو التالي:-

١ ــ عبور الجيش العربي بقيادة (طارق بن زياد) البحر إلى بلاد الأنــدلس عام ٩٢هــ ، ثم توغله في الأراضي الأندلسية ، وفتح بلادها واحدة بعد الأُخرى .

٢ ــ انتصار الجيش العربي على جيش (لذريق) المسيحي ، فــي موقعــة (وادي لكه) .

٣ ــ أسباب مساعدة (يوليان) حاكم مدينة (سبتة) لــ (طارق ابن زياد) في فتح الأندلس .

٤ ــ الأحداث التي واكبت فتح الجيش العربي (قرطبة) ، بقيادة (المغيث بن الحارث) .

**** **** ****

سابعاً :مرج الوليد

أ ـ عرض تطور الأحداث([1]) :-

استمد الجارم أحداث هذه القصة من حقائق تاريخيــة واقعيــة ، لا سيما الجزء الأخير من حياة الخليفة الأُموي (الوليد بن يزيد بن عبد الملــك بن مروان) .

كان (الوليد بن يزيد) وليًا للعهد في عام ١٢٣هــ ، ونائبًــا لعمــه الخليفة الأموي (هشام بن عبد الملك)؛وقد حاول عمه سلب ولايــة العهــد منه، وإعطائها لولده (مسلمة) ، متذرعًا بأن (الوليد) شاب خليع ماجن ، لا يستطيع القيام بأمر الخلافة ، أو تحمل أمورها العظيمة .....

فأشهد على تصرفاته جمعًا من أعظم الرجال آنذاك ، وهم (يزيد ابن الوليد ، ويزيد بن عنبسة ، ومحمد بن شهاب الزهري ، ويزيد الــسلمي) ؛ حيث أرسلهم إليه في صورة الدَّاعين إيَّاه إلى الرجوع عن سلوكه ، واتباع الخُلق القويم ، تمهيدًا لتولي أمر الخلافة .....

([1]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٦٨٩ : ٧٦٤ .

ومما قاله (الزهري) لـــ (لوليد) :-

(إننا جئنا إليك يا بني من قِبَل الخليفـــة لنُـــسدي إليـــك النُّـــصح ، وندعوك إلى ترك ما أنت فيه من لهوٍ يقـــضي علـــى المـــروءة ، ويعبـــث بالشَّرف ، وقد ضاق الخليفة ذرعًا بما يسمعه عنك ، وما يُنقل إليـــه مـــن أمرك ، ثم إنه الآن وقد تقدمت به السن يخشى أن يترك الخلافة في يد مَـــنْ لا يصونها ، أو يستطيع النفح دونها) .

غير أن (الوليد) قد تنبه لهذه الحيلة ، فكشفها للجمع القـــادم إليـــه بقوله :- (لقد سخر منكم هشام ، وغرر بكم ؛ إن ما يجري في قصري من اللهو العفيف لا يزيد عمَّا يجري في قصور فتيان بني أُميَّة . ثم التفت إلـــى "ابن عنبسة ، ويزيد" وقال : وعمَّا يجري في دار "ابن عنبسة" ، وفي قصر "يزيد" ؛ وإن "أبناء هشام" أنفسهم يتمتعون بالحياة طولاً وعرضًا وعُمقًـــا ؛ ولكن "هشام" يريد شيئًا آخر ، يريد أن يُسخركم من حيث لا تـــشعرون فـــي مأرب هو أقصى أمانيه ، ومنتهى آماله ، يريد أن يهدم هـــذا الـــسد الـــذي يحول بين ابنه "مسلمة" والخلافة ، يريد أن يخلع عني ولاية العهد ، بعد أن أقسم عليها أمام أبي أغلظ الأيمان ، وأعطي أوثق العهود ، ليقـــدمها إلـــى "أبي شاكر" هدية غالية ثمينة تبقى في أولاده وأحفاده أبد الدهر) .

استمر الخليفة (هشام) في تدبير المحاولات للوصول إلى هدفه فـــي تغيير الولاية . كإرهاب (الوليد) ، وأخذه بالشدة ، وحبس العطـــاء عنـــه ، والزج بأصحابه في السجن . ولكنها محاولات باءت جميعها بالفشل ، وظل الأمر على ما هو عليه حتى مات الخليفة ، وتقلد (الوليد) شئون الدولة من بعده ...

نشط الخليفة الجديد في أول عهده في البذل والعطاء ، وأكثـــر مـــن عقد مجالس اللهو والغناء،وتزوج مـــن محبوبته (سلمى بنت ســـعيد ابـــن خالد) ؛ لكنه لم ينسَ مَنْ ناصبه العداء قبل ذلك في أمر الخلافـــة ، وأخـــذ

ينكل بهم ، ومرت شهور و(الوليد) يشفي نفسه في كل يوم بانتقام جديد ، حتى خافته خاصة الناس وعامتهم ؛ ولقد فرح الناس لتوليته أول الأمر لمَّا أغدق من العطايا والنعم ، ولما بذل من المواهب ، واصطناع المعروف ، بعد أن عانوا أيام (هشام) عهدًا شحيحًا يُحاسب فيه الخليفة على الدانق ، ولا يثيب إلا على عمل ...

ولكن الوليد لم يستطع أن يمد يده بالعطاء في كل حين ، ولم يكن له من الخلان مَنْ يحمل الناس على حبه وإجلاله ، فتحولت عنه قلوبهم ، ونالت منه ألسنتهم ...

ويدور الفلك دورته ويكره (الوليد) دمشق وأهلها ، فيهجرها إلى بلدة بالقرب من عمان للإقامة بها ، مما أعطى للساخطين عليه ، والفارين من مطاردته الفرصة للاجتماع والتشاور في أمره ، وقد اتفقوا في أثناء ذلك على تنحية هذا الخليفة اللاهي ، وتنصيب ابن عمه (يزيد بن الوليد) لورعه وتقواه،وبالفعل يذهبون إلى الأخير في داره ، ويبلغونه بما توصلوا إليه ، وما استقر رأيهم عليه في أمر الخلافة ، فقبل الرجل منهم هذه المهمة فرحًا مسرورًا ، ثم نصب نفسه خليفة للبلاد .... ويرسل جيشًا جرارًا للقبض على ابن عمه ، وتقديمه حيًّا لدار الخلافة ، وهناك لم يجد الجيش صعوبة في محاصرته وقتله ، بعد أن فر عنه الأعوان والأنصار ؛ ثم يؤتى برأسه إلى دار الخلافة عام ١٢٦هـ .

****

ب ـ الفكرة والهدف :-

تصوير الواقع التاريخي العربي الأُموي في المدة من (عام ١٢٣ هـ إلى عام ١٢٦ هـ) ؛ ومن أهمها :-

١ ــ سياسة الخليفة الأُموي (هشام بن عبد الملك) في أُخريات أيَّامه

٢ ــ محاولة خلع ولاية العهد من ابن أخيه (الوليد بن يزيد) ، وإقرارها لولده (مسلمة) .

٣ ــ سلب أموال العراقيين على يد الوالي (خالد بن عبد الله القسري) .

٤ ــ دعوة العباسيين من قِبَل بعض الشَّخصيات المهمة ، بعد خروجهم على الأمويين . مثل (سليمان بن كثير ، وبكير بن هامان ... وغيرهما ...) .

٥ ــ الدور الفارسي في الدعوة إلى العباسيين،وأهم شخصياته .

٦ــ تولي (الوليد بن يزيد) الخلافة بعد موت الخليفة (هشام بن عبد الملك) سنة ١٢٥هـ .

٧ ــ سيطرة (يزيد بن الوليد) على الخلافة ، بعد مقتل (الوليد ابن يزيد) عام ١٢٦هـ ، على يد أتباع (يزيد بن الوليد) .

*** **** ****

ثامناً :سيدة القصور

أ ـ عرض تطور الأحداث(١) :-

هذه القصة حياة الشاعر اليمني (عمارة بن زيدان) ، استمدها الكاتب من سيرته التاريخية والفنية ، وتدور أحداثها بين (عدن،ومكة ، والقاهرة) .

فقد ترك (عمارة بن زيدان) مدينة (زُبيد) ، متوجهًا إلى (مكة) هربًا من المؤامرات التي حيكت له للإيقاع به لدى حاكم المدينة . مما جعله يُسرع إلى داره ، ويجمع متاعه ، وما بقي لديه من مال قليل ؛ وأعد لأهله وأولاده أربعة من الإبل ، وألحَّ على الجمَّال أن يُسرع في السَّير ، فقال الجمَّال إلى أين ؟؟ . قال إلى (مكة) ... إلى (أم القُرى)... إلى (البيت الحرام) ، الذي مَنْ دخله كان آمنًا .

(١) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٧٦٥ : ٨٤٢.

وصل (عمارة) ، وأهله إلى (مكة) فقيرًا بائسًا ، بعد أن كان في بسطة من الرزق ، وظِلٍّ من السعادة ، يعيش عيشة الترف ، ويتقلب في أكناف العز والنَّعيم . فاكترى دارًا بالقرب من (البيت المحرم) ، وأخذ ينفق على أهله في ضيق وشدة مما بقي له من مال ، انتشله من يد الزمان ؛ وجلس ذات يوم في المسجد ، وبدأ درسًا في التفسير ، فأقبل الناس إلى الاستماع له ، فسحرهم ببيانه وفصاحته ، وقوة عارضته ، ورنين صوته . فتحدث أهل (مكة) عن الشيخ اليمني ، وسار ذكره ، وتنقل اسمه من لسان إلى لسان ، وأقبل عليه عظماء مكة ، وكبار تجارها ، يبذلون له ودَّهم ، ويتسابقون إلى إكرامه بالهدايا والأموال .

لذلك لا غرو أن يعرف قدره أمير مكة (قاسم بن هاشم) ، الذي استقبله بقوله : ... حيَّاك الله يا شيخ !! إن لحديثك لسحرًا ، ولو أن علماء الإسلام كان لهم هذا البيان الرَّائع ، وتلك القوة النَّادرة في التفكير ، واتجهوا إلى هداية الناس وإرشاد الأمراء لكان للإسلام شأن غير شأنه اليوم ...

وانتهز الأمير الفرصة ، وطلب منه الذهاب إلى (سيدة القصور) بـ(مصر) ، ويعمل على أن تُعيد الصَّدقات التي قطعتها عن فقراء (مكة) ، بسبب قُطَّاع الطُّرق ، الذين هاجموا قافلة الحجاج المصريين .

وبالفعل يتجه (عمارة) إلى (القاهرة) ، للقيام بهذه الوساطة ، وهناك التقى بـ(سيدة القصور) ، خليفة الفاطميين ، فتُعْجَبُ بِهِ ، وتُفتَن بما لديه من صفات العلماء

في جل المجالات العلمية ، خاصة علوم الدين ، والشعر وفنونه .

وهنا ثم جعلته واحدًا من أهم المقربين لديها في القصر . ولذلك لم يجد صعوبة في أن يجعل (سيدة القصور) توافق على تحقيق ما جاء من أجله.

وأقام (عمارة) بالقاهرة طويلاً في هدوء بـــال ، وكـــان يـــستدعيه (راجح) ، أحد رجال القصر ، في كل أسبوع للقاء الأميرة ، فزاد هيامه بها وبجودها وذكائها وحرصها على حياطة الدولة .

وفي تلك الآونة حدث أن أحبَّته (باسمة) إحدى جـــواري القـــصر ، وأرادت منه أن يُبادلها حُبًّا بحب ، وكانت تُحاول في كل زيارة له للقصر أن تُغازله ، وتحتال على أن تُصْبِيه . بل إنها طمعت في الاقتران بـــه ، علـــى الرغم مـــن أنها امرأة متزوجة . ولكنه كان يـــصرفها عنـــه فـــي تعفـــف واستنكار ؛ ونفرها في شموخ وإباء ؛ وهذا الأمر أثار حفيظتهـــا ، وفجَّـــر غضبها . حتى قالت له :

أعزُب عنك بعد أن كشفتُ لك عن ذات نفسي ، وفضحتُ لك خبيئـــة صدري ؟! بعد أن طرحتُ حُبِّي على أقدامك ، فَقَذَفْتَ به كما تقـــذف النَّعـــل الخَلَق ؟! وبعد أن سكبتُ دموعي على قلبك الـــصَّلْد ، فمـــا زاده المـــاء إلا صلابة ويُبْسًا ؟! . أعزُب عنك بعد أن أهنتَ أُنوثتي ، ودُسْتُ بقـــدمِكَ علـــى أشرف ما أعتزُّ به ، وتعتزُّ به كل امرأة من حياء وخفر وإباء ؟ .

ويل لك مني ! إن كل شيء عندنا معشر ــ النِّساء ــ أمَـــمٌ ، إلا أن تُجرَح المرأة في كرامتها ؛ وإلا أن تقدم جمالها الفاتن لجِلْفٍ مثلك ، فيُنَحيِّه عنه بالأكفّ في سخط وأنفة ، كأنه كأس مسمومة ، أو طعام وَلَغَـــت فيـــه الكلاب ! .

ويل لك مني ، وويل لكل مَنْ يُناصرك ! لن تفلت مـــن حبـــائلي ... فخذ حِذْرَك فإنك لن تنجو مني يا رجل ! ثم قامت غاضبة ، وتركت (عمارة) في ذهولٍ وعجب ... ومن ثم دست له عند (سيدة القصور) للإيقاع به؛ فتم لها ما أرادت ، حيث غضبت عليه (الملكة) ، وقدَّمته للمُحاكمة ، وقبـــل أن يُحْكَم عليه تظهر براءته ، فتعفو عنه (الملكة) ، وتُعيده كما كان ، ثم تطرد الجارية جزاء كذبها وخيانتها .

وردًّا على ذلك أخذت الجارية في العمل على تقويض أركان الدولة الفاطمية بمصر ، بما تملكه من نفوذ عند أعداء البلاد ، حيث ذهبت إلى الجنوب عند والي مدينة (قوص) (شاور بن مُجير) ، وأفضت له بأسرار القصر ، التي بها يستطيع اعتلاء كرسي الوزارة ، ونزعه من أيدي الضعفاء من وزارة (سيدة القصور) .

زحف (شاور) بجيشه إلى (القاهرة) ، وفر (رُزَيْك) ، وزير الفاطميين إلى (أطفيح) ، وتمكن منه (شاور) وقتله ، ودخل على (سيدة القصور) ، فقابلته بخير ما يُقابل به الفاتح العظيم،ونثرت فوقه ألقاب الشرف والبطولة،ودعت (عمارة) إلى مدحه ، وولاه الخليفة (العاضد) شئون الوزارة ....

استمر (شاور) في الوزارة، وكان جشعًا خبيثًا ، سفَّاكًا للدماء ، فأغضب العامة والخاصة ، ولطالما نصحت له (باسمة) ــ التي أصبحت لها أكبر مكانة في قصره ــ بالرفق ، وصرف الناس بالمال ، وما ينشر من عدل، ولكنه لم يلق لها سمعًا ؛ لأنه كان بطبعه جافًا شريرًا سيئ التدبير،وكان أخوه (نجم) مسيطرًا عليه ، فزاد حُكمه فسادًا على فساد .

ومن هنا حدثت مصادمات عديدة بين الوزراء الفاطميين ، بحثًا عن انتصار شخصي يُتيح الاستمرار على كرسي القيادة . والخلفاء لا يُحركون ساكنًا ؛ حيث كانوا يقرون المنتصر ، ويخلعون عليه لقب الوزارة ، ولا يصنعون شيئًا للمهزوم .

ويتدخل الشَّاميون الأيوبيون ، لحسم صراع السلطة في البلاد ، وانتهى الأمر بالقضاء على (الفاطميين) ، واعتلاء (الأيوبيون) كرسي الخلافة بقيادة (صلاح الدين) .

ثم أُخِذَ (عمارة) إلى مجلس القضاء ، فاعترف غير هيَّاب بكل ما صدر منه ، فَحُكِمَ عليه بالصَّلْب هو وأصحابه . وبينما كان (عمارة) على

خشبة الموت ، مرَّت جنازة يمشي خلفها فقراء القاهرة وعامتهم باكين معولين ، فسأل الجُند عن صاحب الجنازة فقيل : هذه (سيدة القصور) ، سُدَّت أمامها منافذ الأمل،وتجهَّمَ لها وجه الزَّمان ، فتجرَّعت سُمًّا زُعافًا ماتت به لساعتها .

فصاح (عمارة) بالجُند : عجِّلوا بي !! .. عجِّلوا بي !! .. فسيقول الناس غدًا : إن اليوم (الثاني عشر من رمضان سنة تسع وستين وخمسمائة من الهجرة) ، كان يوم الشهداء ، ماتت فيه شهيدة العزَّة والإباء ، ومات فيه شهيد الكرامة والوفاء ... ثم صاح :

نَحنُ فِي غَفْلَةٍ وَنَوْمٍ وَلِلمَوْ ... تِ عُيونٌ يَقْظَانَةٌ لا تَنَامُ

قَدْ فَزِعْنَا مِنْ الحِمَامِ سِنِينًا ... وَاسْتَرَحْنَا لَمَّا أَتَانَا الحِمَامُ

****

ب ـ الفكرة والهدف :-

تصوير الأحداث التاريخية المستمدة من (العهد الفاطمي) بـ(مصر) ، في المدة من (٥٤٩ هـ) إلى (٥٦٩ هـ) .

وهي المدة التي ضعفت فيها الدولة (الفاطمية) ،حتى انتهى حُكمها ، وقامت على أنقاضها الدولة (الأيوبية) .

ومن أهمها تصوير الأحداث التالية :-

١ ـ تعرض قوافل الحجاج المصريين للسلب والنهب ، فقطع الخلفاء (الفاطميين) الصدقات عن فقراء (مكة) .

٢ ـ تولي (العاضد) الخلافة ، بعد موت الخليفة (الفائز) .

٣ ـ تصوير المعارك التي دارت رحاها بين (شاور بن مجير) ، والي (قوص) ، وبين (رُزَيْك بن طلائع) ؛ والتي انتهت بهزيمة (رُزَيْك) ، وقتله .

٤ ــ تصوير المعارك التي دارت رحاها بين (شاور بــن مجيــر) ، وبــين (ضرغام اللخمي) .

٥ ــ هزيمة (شاور بن مجير)،وفراره إلى (الشام) ، واستنجاده بـــ(نــور الدين محمود زنكي) .

٦ ــ حضور الجيش (الأيوبي) إلى (القاهرة) ، بقيادة (أسد الدين شيركوه ، وصلاح الدين الأيوبي) .

٧ ــ حضور جيش الإفرنج إلى (القاهرة) ، بدعوة من (شــاور) ، لإخــراج الجيش الشَّامي .

٨ ــ رحيل (الأيوبيين) من مصر بدون قتال .

٩ ــ حضور الجيش الأيوبي مرة أخرى إلى مــصر بــدعوة مــن (ســيدة القصور) .

١٠ ــ المعارك التي دارت رحاها بين جيش الأيوبيين ، وجيش الإفــرنج ، ثم هزيمة الإفرنج وخروجهم من مصر .

١١ ــ قيام الدولة (الأيوبية) ، على أنقاض الدولة (الفاطمية) .

**** **** ****

تاسعاً :غادة رشيد

أ ـ عرض الأحداث([1]) :-

تناول الكاتب الأحداث التاريخية المواكبة لنهاية حكــم المماليــك ، ودخول الحملة الفرنسية فيها ؛ ثم خروجها منها ؛ وأخيرًا قــدوم الحملــة الإنجليزية عليها ؛ وذلك في المدة من ١٧٩٨م إلى ١٨٠٧م . مــن خــلال قصة واقعية حدثت بالفعل وقتئذ . وهي :

قصة (زبيدة) بنت (السيد محمد البواب) ، أحد تجار الأرز برشــيد ، التي تتمتع بقدر هائل من الحُسن والجمال ، وتناولت الألسن الحــديث عــن

([1]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٨٤٣ : ٩٦٧.

جمالها الفاتن ،حتى باتت مضرب المثل بين فتيات المدينة ؛ ولكنها لم تلتفت إلى كل هؤلاء ، لأنها كانت تحب ابن خالتها (محمود العسَّال) ، الذي كان يبادلها حبًا بحب، وكادت تنتهي علاقتهما بالزواج ؛ غير أن (زبيدة) تعلق بذهنها عائق وهمي يقوم على نبوءة لعرَّافة يقول: إنها ستكون ملكة مصر في يوم من الأيام . وتظل (زبيدة) على حالها هذا من التردد والحيرة ، حتى جاءت (الحملة الفرنسية) إلى (رشيد) ،وتم تعيين القائد (مينو) حاكمًا للمدينة ،

وكان في أول عهده يعد بالحكم الصالح ، ورعاية أمور الدين الإسلامي، حتى أنه أعلن إسلامه ليتقرب إلى الشعب المصري ، وأطلق على نفسه اسم (عبد الله) ؛ فهرع الأعيان وعظماء المدينة إلى استقباله ، وأظهروا البشر والسرور . غير أن نشوة الظفر غلبته ، فلم يحترم وعوده، مما جعل الناس ينقلبون عليه ، وينفرون منه ، فحثه أحد مسامريه على الزواج من إحدى فتيات رشيد ، حتى يتقرب إلى الناس مرة أخرى ، ووقع الاختيار على (زبيدة) ، لأنها تجمع بين شرف النسب وجمال الهيئة .

وبالفعل تزوج (مينو) من (زبيدة) ، التي رأت في إتمام هذا الزواج تحقيقًا لطموحها في الملك والسيادة ، وزُفَّت المسكينة الطموح إلى (مينو) ، فقذفت بسفينة حياتها في خضم قاتم مضطرب الأمواج ، لا يهديها فيه إلا شعاع من أمل متقطع كاذب ، ولو نفذ إلى سمعها صوت من بين هذه الأمواج الصاخبة حولها ، لسمعت قهقهة القدر وهي تجلجل في شماتة وسخرية .

فقد لقيت (زبيدة) من زوجها (مينو) أول الأمر شغفًا وهُيامًا وطُرقًا في الغزل وشكوى الصبابة لا عهد لها بها . ولكن سرعان ما تبدد كل شيء وهال المسكينة أن تصطدم آمالها بصخرة من الحقائق لا ترحم حزينًا ، ولا تواسي بائسًا .

ولما علم (محمود) بهذا الزواج حزن على ضياع حبه ، وفراق محبوبته ، غير أنه لم يستسلم لهذه الحال طويلاً ، حيث قام بمواصلة الكفاح ضد الفرنسيين المحتلين ، وخاض ضدهم معارك كثيرة أظهر فيها بطولات نادرة ، أُصيب على أثرها وسقط جريحًا ، وأخذت (لورا) ـــ ابنة صديقه القديم (نيكلسون) الإنجليزي ، الذي جاء من بلاده إلى أول الأمر للتجارة في المنسوجات ، ثم انتقل إلى القاهرة للتخفي في رحابها من الفرنسيين المعادين لقومه ـ تبذل ما يُستطاع في علاجه ، والهمُّ يكاد يعصف بفؤادها . حيث دهمت الحمى (محمودًا) ثلاثة أيام لم تغمض فيها جفنًا ، ولم تحبس دمع عين، حتى أفاق من الحمى ورأى في صنيع (لورا) له ما ملأ قلبه حبًّا لها ، وإعجابًا بخلقها . ثم نظر فرأى جمالاً يأخذ باللب ، ويملأ العين والقلب ، وقد كان إليها قبل ذلك دائم الحنين .

لم يجد (محمود) مانعًا من الزواج من تلك الفتاة التي كانت تبادله حبًا بحب ، وحنينًا بحنينوعندما علمت (زبيدة) بأمر هذا الزواج أخذتها عاصفة من الذهول والحزن والغيرة ، فأطرقت واجمة كأنها كانت تتلقى صحيفة الحكم عليها بالموت ؛ فهي رغم زواجها من (مينو) مازالت تحب ابن خالتها حبًّا يقهر كل حب .

وأخيرًا تبينت (زبيدة) الحقيقة المُرَّة ، فلم تصل إلى ما كانت تطمح إليه بزواجها من القائد الفرنسي ، بعدما أظهرت لها الأيام ما بينها وبين زوجها من فوارق جنسية واجتماعية ولغوية ، فلم تستقر حياتها الزوجية ، خاصة بعد سفرها معه إلى فرنسا ثم إيطاليا في أعقاب فشل الحملة الفرنسية على مصر . حيث تنكر لها (مينو) ، وانتزع منها ولدها ، وضيق عليها .

عادت (زبيدة) من أوربا حزينة القلب ، مهيضة الجناح بسبب الأحداث الأليمة التي مرَّت بها ، وفي قلبها أمل واحد هو أنها سترى حبيب

الوجدان الأول (محمود العسال) ؛ لكن وا أسفاه عادت فوجدته قد استشهد أثناء جهاده ضد الإنجليز في حملتهم على مصر بقيادة (فريزر) عام ١٨٠٧م.

فانطلقت مسرعة نحو قبره حتى إذا بلغته رأته امرأة جاثية عنده مطرقة ذاهلة، فلم تتبين وجهها ، فجثت قُبَالتها في صمت وخشوع ، ثم غلبتها الزفرات ، فتنبهت المرأة ، ورفعت رأسها ، وحين نظرت (زبيدة) إليها من خلال الدموع صاحت : لورا ؟ أنت لورا ؟ ونظرت إليها (لورا) نظرة المذهول ، وقالت : (زبيدة ؟) ، أحقًّا أنت (زبيدة ؟) ، ثم غلبهما البكاء فأطرقتا ، وطال الإطراق ، حتى قلق (سرور) لطول صمتهما ، قام فرأى ــ لهوله ــ أنهما فارقتا الحياة ...

ب ـ الفكرة والهدف :-

اهتم الكاتب في هذه القصة بتصوير الأحداث التاريخية التي مرت بمصر في المدة من ١٧٩٨م إلى ١٨٠٧م ؛ وكانت كما يلي :-

١ ــ إلقاء الضوء على شخصية الوالي المملوكي (عثمان خجا)، الذي يعمل دائمًا على زيادة الضرائب على أهل رشيد ، مما سبب إشعال في المدينة سنة ١٧٩٨م .

٢ ــ دخول (نابليون) ، قائد الحملة الفرنسية إلى مصر عن طريق الإسكندرية ، ثم رشيد سنة ١٧٩٨م .

٣ ــ تعيين القائد (مينو) حاكمًا على رشيد .

٤ ــ هزيمة المماليك على يد الفرنسيين في موقعة (شبراخيت).

٥ ــ دخول الجيش الفرنسي مدينة القاهرة بعد موقعة كبيرة هزموا فيها المماليك .

٦ ــ هزيمة الأسطول الفرنسي في موقعة (أبي قير) البحرية .

٧ ــ القبض على الزعيم المصري (السيد محمد كُرَيْم) (بالإسكندرية)، ثم حمله إلى (القاهرة) لتنفيذ حكم الإعدام عليه .

٨ ــ لفت الانتباه إلى دور الأزهر الشريف ، وشيوخه العلماء في قيادة الشعب المصري ضد المستعمر الفرنسي .

٩ ــ عودة (نابليون) إلى فرنسا بعد فشله في غزو بلاد الشَّام .

١٠ ــ تنصيب (كليبر) قائدًا للحملة الفرنسية ، ثم بيان سياسته في حكم البلاد بعد توليه الأمور .

١١ ــ ثورة الشعب المصري في القاهرة على الفرنسيين عام ١٨٠٠م ، ومقتل (كليبر) على يد الطالب السوري (سليمان الحلبي) ، الذي يدرس في الأزهر ؛ ثم رحيل الفرنسيين عن مصر عام ١٨٠٠م .

١٢ ــ الصراع بين المماليك والترك على حكم مصر .

١٣ ــ تنصيب (محمد علي) واليًا على مصر .

١٤ ــ الاحتلال الإنجليزي لمصر بقيادة (فريزر) عام ١٨٠٧م .

١٥ ــ جهاد شعب رشيد ضد حملة (فريزر) ، وانتصاره عليها.

**** **** ****

القسم الثاني
(البناء الفني)

أولاً : تكوين الأحداث .

توطئة :-

لا غرو في أن القصة التاريخية مستمدة من وقائع مرحلة تاريخية ما، قد تختلف في الشكل والمضمون من كاتب إلى آخر، تبعًا لرؤية الكاتب الذاتية لهذا الحدث ، وتباين الرؤى الإبداعية من كاتب لآخر .

على أن كل كاتب يقوم بانتزاع الحدث التاريخي بما يحويه من شخصيات ، وحركات فنية داخلية وخارجية من مصدر حقيقي كالسير والتراجم الواردة في التاريخ ، أو التراث الأدبي ، ويمزجه بمكنون خياله ، حتى يلتقطه عقله ويبتكره من تلقاء نفسه .

ويلتزم الكاتب بأن يبذل جهده كي يحقق التلاؤم بين الوقائع التاريخية، والرؤية الفنية لأحداثها .

ولقد بذل الجارم جهده ليجعل الأحداث التاريخية في القصة عنده مرآة حقيقية لأصلها التاريخي ، فكل حدث منها منتقى من المصادر التاريخية الصحيحة ، ومُعالج بطريقة فنية لا تُغيِّر الحقيقة الواقعة ، أو الحدث التاريخي .

فحينما نُقارن الأحداث في القصة التاريخية عنده بأصلها التاريخي ، لا نجد فارقًا بين الحقيقة التاريخية ، ورؤيته القصصية ، بدليل أن الأحداث التاريخية الواردة في قصة (مرح الوليد) ، على سبيل المثال لا الحصر ، هي نفسها ما وردت في كتاب (تاريخ الرُّسل والملوك) للطبري([1]) ؛ وفي

([1]) راجع تاريخ الرسل والملوك . للطبري. ص ٧ / ١٩٢ : ٢٩٢ . ط : دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٦م.

كتاب (الكامل) لابن الأثير([1]) ؛ وغيرهما من المصادر التاريخية التراثية التي أَرَّخَت للعصر الأُموي .

لقد ركَّز الجارم ــ في الغالب الأعم ــ في أحداث قصصه على المراحل التي تدول فيها بعض الدول ، وتقوم على أثرها دول أخرى .

مثل نهاية الدولة الأموية،وبداية قيام الدولة العباسية ، في قصة (مرح الوليد) . وانتهاء دولة بني جهور،وقيام دولة (المرابطين) ، في قصة (شاعر ملك) . وفناء الدولة (الفاطمية)، وقيام الدولة (الأيوبية) ، في قصة (سيدة القصور) ...

وهكذا كانت الأحداث عند الجارم ــ في الغالب الأعم ــ مستمدة من الفترة الزمانية التي تتسم بالتحول التاريخي . ولعل دافعه إلى ذلك أنه يرى أن طبيعة هذا التحول التاريخي ، بما فيه من انهيار بعض الدول ، وقيام دول أخرى مكانها ، وما يُصاحب ذلك من توترات وأزمات مادية ومعنوية ، هي الأفضل للعمل القصصي الذي يستلزم وجود صريح لنمو صراع الأحداث وتطوره ؛ ويجوز أن يكون دافعه إلى اختيار أحداثه من هذه المنعطفات ، هو أن يُقدم لأهل مصر عددًا من التجارب لينتفعوا بها إذا أرادوا أن يُغيِّروا واقعهم المأساوي ، في ظل الاحتلال ، إلى واقع مقبول ، ثم مستقبل مشرق . ومما يُقوي هذا التفسير أن جميع قصصه ظهرت في مرحلة الاستعمار الإنجليزي لمصر،بل في أحلك أزمانه السياسية ، والاجتماعية ، وهي مدة الأربعينيات ، التي شهدت قمة الظلم الاستعماري لمصر([2]) .

([1]) الكامل . لابن الأثير . ص ٥ / ٢٥٠ : ٣٢٠ . ط : دار صادر ـ بيروت ـ سنة ١٩٨٢م .

([2]) لمزيد من المتابعة راجع : معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر . د / جاد طه . ص ٣٩١ وما بعدها . دار الفكر العربي بالقاهرة سنة ١٩٨٥م .

وهكذا كان من أهداف الجارم ــ كما أشرنا ــ انتقاء صفحات من التاريخ العربي المجيد ، ثــم تقديمها إلى مواطنيه ،وبخاصة النَّشء والشباب ، في صورة قصصية راقية ، للتعليم واستنباط التجارب ...

لذلك لا غرو في أن يلتزم الكاتب بالحقائق ، ويُسارع إلى تحريرهــا من مصادرها التاريخية الحقيقية .

وهكذا كان الجارم ملتزمًا بالحقيقة التاريخية في كل قصصه ، وقــد نبع التزامه لهذا المبدأ من محاولته تطبيق قواعد الفن القصــصي ، التــي تُلزم كاتب القصة التاريخية ذكر الحقائق كما هي ، دون تبديل ، أو تزييف ، اللهم إلا في الأشياء التي تخدم العمــل القصــصي ، ولا تــضر بالحقيقــة التاريخية([1])..

لقد عمل الجارم على تحقيق ذلك في أعماله القصــصية ، وســوف نستعرض فيما يلي ــ بإذن الله تعالى ــ نهجه الأدبي ورؤيته الفنية لأعماله القصصية التاريخية .

**** **** ****

نمو صراع الأحداث وتطوره :-

استمد الكاتب صراع قصصه ــ كما أشرنا آنفًــا ــ مــن التــاريخ العربي والإسلامي، بُغية التأثير على وجدان المتلقي وعقلــه ، واســتطاع بمقدرته الفنية أن يبرز هدفه في قالب متكامل من الخطوط الفنية ، التي من الضروري توافرها في الأعمال الدرامية ، حتى تكتسب مزيدًا مــن الحركــة والإثارة ، فكانت على النحو التالي :-

---

([1]) لمزيد من الإيضاح راجع : الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث . د / أحمد الهواري ، د / قاسم عبده . ص ٦ وما بعدها . بتصرف . مطبعة دار التأليف بالقاهرة . ط : الأولى سنة ١٩٧٧م .

أ ـ مرحلة صراع البداية (المقدمة) :-

لا غرو في أن العمل القصصي يمنح كاتبه حرية التعامل مع الأحداث، فلا قيد يُفرض عليه اختيار نقطة المقدمة ، أو البداية المرجوة ، على ما قرره الدكتور / محمد غُنيمي هلال في قوله([1]) :- (.... قد يبدأ يؤلف قصته من أول حوادثها ، فيصف نشأة أبطاله ، وميلاد علاقاتهم بعضهم ببعض ، ويتبع في ذلك منهجًا زمنيًّا في عرض الأحداث .

وقد يبدأها بالنهاية ،ثم يرجع إلى بيان الأسباب التي أدت إليها ، وكشف الغامض من أمرها .

وقد يبدأها من فترة خاصة من حياة الشخصية الرئيسية في منظرٍ صامتٍ يعتمد على الوصف اعتمادًا كبيرًا ، ثم يقف ليرجع إلى الوراء سنين كثيرة ،ويشرح بهذا الرجوع المنظر الذي قدمه أولاً ....).

والمتأمل في أعمال الجارم القصصية يُدرك أنه انتهج طريقتين من هذه الطرق الفنية :-

١ ــ الطريقة التي تبدأ من أول حوادثها ، بحيث تصور نشأة الأبطال وميلادهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض .

وقد استخدم الجارم هذه الطريقة في قصَّتَيْن هما (فارس بني حمدان([2]) ، وشاعر ملك([3]) .

حيث بدأ القصة الأولى من لحظة الطفولة في حياة بطل القصة (أبي فراس الحمداني) ؛ وبدأ القصة الثانية بليلة ميلاد بطلها (المعتمد ابن عبَّاد) ، في مدينة (باجة) ، التي كان أبوه أميرًا عليها من قِبَل جده الأكبر في (أشبيلية) .

([1]) النقد الأدبي الحديث . د / محمد غُنَيْمي هلال . ص ٥٤١ . ط : نهضة مصر . بالقاهرة
([2]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . قصة فارس بني حمدان . ص ٧ : ٩٤ .
([3]) نفسه . قصة شاعر ملك . ص ٤٢٧ : ٥٠٤ .

٢ ــ الطريقة التي تبدأ من حدث رآه الكاتب مهمًّا في حياة الأبطال ، ثم الرجوع إلى الوراء مدة زمنية ليُقدم البواعث التي أدت إلى وقوع تلك الأحداث التي بدأ بها .

حيث استخدم هذه الطريقة في قصصه (الشاعر الطموح[١]،وخاتمة المطاف[٢] ، وهاتف من الأندلس[٣] ، والفارس الملثم[٤] ، ومرح الوليد[٥] ، وسيدة القصور[٦] ، وغادة رشيد[٧] .

ومثالاً على ذلك أنه بدأ أحداث قصة (غادة رشيد) ، من فترة شباب البطلة (زبيدة بنت السيد محمد البواب) ، وهي الفترة الزمنية التي وافقت الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨م .

ثم عاد بالزمن إلى الوراء في أماكن متعددة من مصر ليُبرز بعض مساوئ المماليك في حكمهم مصر .

كما اهتم الجارم في منحاه القصصي بأن يُمهد لنقطة الانطلاق بمقدمةٍ تتسم بالاختلاف والتنوع في اختيار المشهد المُفضي إلى بداية الأحداث ، بُغية إيجاد عامل التشويق والإثارة في أعماله القصصية ، وشد انتباه المتلقي إلى متابعتها .

وتتكون تلك المقدمة ــ في الغالب الأعم ــ من سرد تصويري لبعض مشاهد الطبيعة ، أو مظاهر الحضارة ، أو تحديد لمعالم الشخصيات المؤثرة في العمل القصصي ... وهذه الموصوفات مستمدة من البيئة الزمانية والمكانية للأحداث .

---

(١) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٩٥ : ١٨٨ .
(٢) نفسه . ص ١٨٩ : ٢٧٢ .
(٣) نفسه . ص ٥٠٥ : ٦٦٦ .
(٤) نفسه . ص ٦٦٧ : ٦٨٨ .
(٥) نفسه . ص ٦٨٩ : ٧٦٤ .
(٦) نفسه . ص ٧٦٥ : ٨٤٢ .
(٧) نفسه . ص ٨٤٣ : ٩٦٧ .

والجارم في هذا السرد التصويري يحرص على الأسلوب العربي المكتظ بالصور البيانية التي تستهوي القارئ .

على نحو ما نرى في السرد التصويري لشخصية (أبي فراس الحمداني) ، في قصة (الشاعر الطموح) ، وهو من أهم شخصياتها :

(فارس فارع القد ، وسيم الطَّلعة ، تكشف أسارير وجهه عن نُبلٍ عريق ، وشَرَفٍ رفيع ، وتنطق ملامحه ونظرات عينيه بشجاعة تَفَرَّقَ منها الشجعان ، وبطولة يعزّ مثلها على الأبطال . وكان يتقلد سيفًا حُلِّى غمده بالذهب ، وزُيِّن بنفيس الجوهر ، ويتنكَّب رُمْحًا تقبل أشعة الشمس سنانه ، فتُرسل بريقًا وهَّاجًا يكاد يُحسِر العيون . وقد امتطى جوادًا كريمًا راح يهملج في بخترة وزهو ، كأنه كان يعتز بكرم سُلالته ، أو يتيه بشرف منبت فارسه الشَّعَّاع .

سار الجواد بين الوخد والخبب في طريق مدينة حلب ، في يوم صائف من سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ، فانفرجت السَّابلة عن طريقه كما تنفرج أمواج البحر أمام سفينة تُداعب شراعها الرياح ...)([1]).

وها هو ذا يُقدِّم (ولاَّدة بنت المُستكفي) ، في قصة (هاتف من الأندلس) ، من خلال سرد تصويري يكشف عن هيئتها الشكلية ؛ وهي من الشخوص المساعدة المهمة في القصة :

(وكانت "ولاَّدة" في الثامنة عشرة ، رائعة الطلعة ، فاتنة مباهر الحُسن . وَجْهٌ لم تشرق الشمس على أنضر منه ، ولا أصبح ، وقسماتٌ تأنَّق في صنعها الجمال ، وقوامٌ لو أدرك عهده الإغريق لجعلوا منه تمثالاً لكل ما يتخيلونه من رشاقةٍ، ولَدَانَةٍ([2]) ، واتساق خَلْقٍ ، وكان أجمل ما فيها تلك النظرات الساحرة ، التي تنفُذ إلى كل قلب ، وذلك الشمم

([1]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٩٧ .
([2]) لَدَانة : ليونة .

العَبْشَمي ، الذي تراه فتحبه وتهابه ، والذي يوحي إليك أن الجمال معنى من المعاني التي يعجز البيان عن وصفها ببيان ....)([1]) .

وعلى نحو ما نرى في السَّرد التصويري للمكان في بداية قصته (هاتف من الأندلس) ، حيث يقول :-

(في يوم من أيام الربيع ، رَقَّت فيه أنفاس النسيم،وجمَّلت أفقه أضواءُ الأصيل ، ظهرت قُرطبة عروس المدائن ، وأُم قُرى الأندلس ، وحولها البساتين والخمائل ، تُحيط بها أشعة الشَّمس الذهبية ، فتبدو كأنها صورة في إطار من ذهب ، وقد انحدر تحت قدميها الوادي الكبير نقيًّا صافيًا كأنه خالص اللجين ، وجرت به السفن تَرِفّ قلاعها البيض ، كما تَرِفّ الحمائم رأت ماء وخضرة ، فحنَّت إلى الورود . وانطلق الملاَّحون ينغّمون أهازيج لهم ، فيها حب ، وفيها أمل مجد وبطولة ، فسرت ألحانهم مع هبَّات النسيم ناعمة مطربة ، وتوثَّبت كل موجة عليها تقتنص منها لحنًا . وامتدَّ فوق النهر الجسر العظيم الذي أمر ببنائه "عمر بن عبد العزيز" ضخمًا تيَّاهًا يُباهي بأقواسه السبع عشرة ما بناه الأولون ، ويتحدَّى أن يكون له مَثَل في الآخرين .

هذه قُرطبة في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ، وفي حكم "أبي الحزم بن جهور" ، انطلقت قبابها في السماء شامخة مُعجبة على الرغم مما لاقت من الويلات والفتن والحروب ، وضروب التخريب والتدمير...)([2]) .

وعلى نحو ما نرى في السرد التصويري في بداية قصة (مرح الوليد) ، حيث صور قصر (الخليفة الوليد بن يزيد) بقوله :-

---

([1]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٥١٧ .
([2]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٥٠٧ .

(قصر راسخ القواعد ، شامخ الذرا ، رسا أصله فوق شرف عال من الأرض ، وارتفعت قبابه في الجو ، كأنها تطلب شيئًا في السماء . وقد موَّهت بالنضار ، وسَطَع عليها الأصيل ، فأرسلت شُعاعًا كان أجمل من الأصيل ، وأبهى من خالص النضار . وامتدت حول القصر البساتين الفيح ، تجري بها الجداول بطيئة متعثرة ، كأنها تخشى أن تلتقي بنهر بَرَدى فيلتقمها زخاره الخضم ، ويدور بها كالمذعور فيقتحم كل دار ، وينفذ من كل حائط . ورفَّت بها الأزهار رائعة الألوان، مسكية الشذا وقد عبث بها النسيم ، فراحت تختبئ في أكمامها، كأنها الغيد الحِسان خافت خائنة الأعين ، وفضول العاشقين . وماست أشجار الحور كأنما شجاها تغريب الطير فوقها ، فأخذت تُسارق الأنغام ، وتساير رنين الإيقاع ....)([1]) .

وعلى نحو ما نرى في السرد التصويري للزمان والمكان معًا في مقدمة قصة (سيدة القصور) ، التي يقول فيها :-

(كان النهار في صَوْلَةِ شبابه ، وكانت الشمس تبعث بأشعتها وهَّاجة مُلتهبة تكاد تشوي الوجوه ، وكان الجو على حرارته كثير الرطوبة ، والنَّدى المتصاعد من البحر ، وكأن النَّسيم الذي أكثر الشعراء من ادعاء أنه العليل ، قد طالت علَّته فقضى نحبه ، فلا تسمع له جرَّة ذيل ، ولا همسة أنين .

وقد أضنى الناس بمدينة "عَدَن" هذا الوَمَدْ ، وهزل أجسامهم القيظ بعد أن توالت عليهم شهور الصيف شديدة لوَّاحة ، كأنما كانت تتنافس في مسَّهم بشُواظها ، فلا يجئ شهر إلا وهو أشد وأنكى من صاحبه ...)([2]) .

([1]) نفسه . ص ٦٩١ .
([2]) نفسه . ص ٧٦٧ .

وهكذا كان أسلوب الجارم ــ في الغالب الأعم ــ في اختيار نقطة المقدمة في منحاه القصصي ؛ عدا قصة واحدة بدأها بحوار بين شخصيتين ، وهي قصة (فارس بني حمدان) .

ولعل الكاتب اعتمد على هذا الأسلوب في مقدمات قصصه اتباعًا لقواعد النقد الأدبي في القديم والحديث .

فقد أشار أبو هلال العسكري إلى ذلك في قوله :-

(أحسنوا معاشر الكُتَّاب الابتداء ، فإنهن دلائل البيان ...)([1]) .

وكما أشار إلى ذلك أيضًا في النقد الحديث الكاتب الكبير / عبد الحميد جودة السَّحَّار في قوله :-

(.. بالوصف الجيد يُخلق الجو ، ولا ضير أن يستغرق هذا الخلق فصلاً بأكمله)([2]) .

وقد كان الجارم في خلقه الأجواء قوي الأسلوب ، رائع التصوير ، شديد الاحتفاء بأدوات البيان المختلفة .

وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يستطع في بعض الأحايين أن يُقيم رابطًا بين هذه المقدمات ، وبين أوليات الأحداث بطريق التعاطف ، أو حتى التعارض([3])،ولذلك بدت هذه الأوصاف كأنها غريبة على الأحداث في القصة .

([1]) الصناعتين . ص ٤٥١ . تحقيق الأستاذ / محمد علي البيجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم . ط : دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ

([2]) القصة من خلال تجاربي الذاتية . أ / عبد الحميد جودة السَّحَّار . ص ٥٨ . ط : دار مصر للطباعة بالقاهرة .

([3]) لمزيد من المتابعة عن التعاطف والتعارض كوسيلة من وسائل الربط بين الطبيعة والأحداث في القصة راجع : النقد الأدبي . أ / أحمد أمين . ١ / ١١٩ . ط : النهضة المصرية بالقاهرة . ط : الخامسة عام ١٩٨٣م .

وقد يشعر المتلقي بالملل والتشتت حينما يقوم الكاتب بالفصل بين المقدمة ، وبين بداية الأحداث بعبارات خطابية راكدة ؛ كما نرى في السرد التصويري الفائت لـ(قصر الوليد بن يزيد) ، حيث يقول :-

(ذلك مشهد يجب أن يُرى حتى يُعرف ، ويجب أن تراه عين فنان لتدرك بعض ما به من جمال وروعة، أما القلم ، وأما اللسان ، فأعجز من أن يصلا فيه إلى صورة ، أو شبه صورة ، تقربها العيون ، أو تطمئن لها النفوس . يقولون إن اللغة أداة البيان ، ويقولون إن اللغة بريد العقول ، فهل هي أداة البيان حقًّا ؟! وهل هي بريد صادق يحمل ما في نفسك إلى نفس غيرك ؟! إن من ضروب الأحاسيس ما يدق عن متناول اللسان ، ويستعصي على سنان القلم ....)([1]) .

ثم تبدأ أحداث القصة بعد أكثر من صفحة من هذا الاستطراد الخطابي، حيث يقول :(وفي أحد أيام شوال من سنة ثلاث وعشرين ومائة ، جلس ببعض أبهاء هذا القصر "يزيد بن الوليد" ، و "يزيد بن عنبسة" ، و "محمد بن شهاب الزهري" ، و "يزيد السلمي" . وقد طال بهم الإطراق ، ودلت أسارير وجوههم على ما تنطوي عليه أنفسهم على أمرٍ عظيم، وهمٍّ دفين . وبعد لأي رفع "الزهري" رأسه ، وكان من كبار المحدثين ، وأعلام التابعين ، عظيم المنزلة في الدولة ، لعلمه وورعه ....)([2]) .

ب ـ مرحلة صراع الوسط (العُقْدَة) :-

إن نمو الصراع وتطوره من المسائل الفنية المهمة في فن القصة ، والتي تستلزم بالضرورة ترتيب الأحداث ترتيبًا تصاعديًا يبلغ مداه إلى قمة التأزم ، ثم يبدأ في الهبوط حتى تنتهي جميع الصراعات والاشتجارات الدرامية . على ما قرره الدكتور / محمد غُنَيْمي هلال في قوله :-

---

([1]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٦٩١ .
([2]) نفسه . ص ٦٩٢ .

(لا بد من ترتيب الأحداث ترتيبًا تصير به ذات وحدة عضوية ، فهي كالمسرحية ذات مبدأ تتكون بـه أُسس الحكاية، ثم تبلغ الحوادث قمة تأزمها ، وتصير إلى نهايتها في الخاتمة ...)([1]).

وهذا ليس معناه أن الكاتب مُقيد بترتيب للأحداث يُفرض عليه ، ولكنه ترتيب ينسج الكاتب على أساسه الحركة القصصية حسب رؤيته وتقديره ، فيكون له بصمته التي يتميز بها عن غيره ممن قد يتناول الموضوع ذاته في عمل قصصي .

وأعتقد أن هذا الترتيب لا يلفت انتباه المتلقي إلا إذا اهتم الكاتب بالتسلسل المنطقي للأحداث الذي يتحقق بالنمو الداخلي ، والتصاعد الخارجي لحركة الشخصيات ؛ ثم حرص الكاتب على أن يبتعد عن السرد الخطابي الذي يؤثر في مسار النمو القصصي، ويُقلل من القيمة الفنية في العرض .

وهذا ما أشار إليه الدكتور / إبراهيم عوضين في قوله :-

(... أهم ما يجب على الكاتب في عرض الأحداث أن يجعلها مسلسلة في سيرها، طبيعية في شكلها ، أصيلة في منشئها ، فلا يؤسسها على المفاجأة ، ولا يجعلها ضخمة، ولا يُضيقها من حاجة إليها ، أو ينشئها من عدم مهما كانت دواعيها ....)([2]) .

والمتأمل في تسلسل نمو الصراع وتطوره في قصص الجارم يُدرك أنه أقامه على محورين ، هما :-

---

([1]) النقد الأدبي الحديث . د / محمد غُنَيْمي هلال . ص ٥١٠. ط:نهضة مصر بالقاهرة .

([2]) لمزيد من التفصيل راجع : في الأدب العربي المعاصر . د / إبراهيم عوضين . ص ٢/ ١٥٢ .

١ ــ تتبع صراع الأحداث الرئيسة في الشخوص المحورية ، وهي كلها شخوص تاريخية حقيقية ، عُرِفَت باسمها وهيئتها في التراث الأدبي ، أو التاريخي .

٢ ــ الاهتمام بالترتيب الزمني للأحداث التاريخية المُراد إلقاء الضَّوء عليها ، وهي غالبًا تكون فترةَ تحولٍ تاريخي للأمة الإسلامية والعربية؛ على ما قرره الدكتور / محمود حامد شوكت في قوله :-

(... وهكذا يقوم فن الجارم في القصة على عرض فترة تحول في التاريخ الإسلامي ، مجمعة في شخصية بارزة ، يُناظر تطورها ، ومدى توافقه مع تطور الحياة الخاصة بالفرد ، وتطور الحياة الخاصة بالمجتمع ، في عرض مُجمل ، قوامه وصف الحوادث الكبرى ، مع اقتباس من الإنشاء العربي ، والشعر ، والقرآن الكريم)([1]) .

أما الصراعات الجزئية الداخلية فقد خصصها الكاتب للعلاقات الإنسانية ، والأوصاف الفنية ، والاشتجارات الثانوية المتصلة بشخوص القصة ، والتي تتصارع في بيئة زمنية ومكانية محددة .

على نحو ما نرى في قصة (شاعر ملك)([2]) ؛ فبعد أن انتهى الكاتب من المقدمة (السرد التصويري) ، رتَّب صراعها على المحورين الفائتين؛ حيث بدأت الصراعات هادئة بميلاد البطل (المعتمد بن عبَّاد) ، في مدينة (باجة) ، في الفصول الثلاثة الأولى (ليلة ــ فندق ــ تهنئة)([3]) .

([1]) الفن القصصي في الأدب العربي الحديث . د / محمود حامد شوكت . ص ١٧٩. دار الفكر العربي
بالقاهرة عام ١٩٥٦م .

([2]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٤٢٧ : ٥٠٤ .

([3]) نفسه . ص ٤٢٩ : ٤٤٥ .

ثم فصَّل مراحل طفولته الأولى في مدينة (أشبيلية) ، في كنف والده الخليفة (عبَّاد بن محمد) ، في الفصلين (الرابع والخامس) ، (عزاء ــ قتل)([1]) .

ثم تتبع وقائع حياته في مرحلة الشباب ، وإظهار سماته الشخصية في هذه المرحلة ، والإشارة إلى الأعمال التي كُلِّف بها ، في الفصول من السادس إلى التاسع (عبث ــ خيبة ــ ولاية ــ فجائع)([2]) .

وفي الخاتمة صور حياته أثناء الخلافة،وصراع الأحداث من خلالها ، التي انتهت بموته ، وانتهاء دولة بني عباد كلها ، وقيام دولة المرابطين على أطلالها . وكان ذلك في فصول القصة الأخيرة (دسيسة ــ هزيمة ــ معاهدة ــ ثورة ــ الزلاقة ــ ضيافة ــ أفول ــ أسر)([3]) .

وهكذا اهتم الكاتب في هذه القصة بإلقاء الضوء على المرحلة التاريخية المُرادة، حيث قام باجترار أحداثها الكبرى ، ورتبها ترتيبًا تصاعديًا في خط مستقيم يتواءم مع مفهوم الجو التاريخي العام لهذه الفترة الزمنية ، مما يجعل القارئ يخرج وقد تعرف على معظم الأحداث التاريخية الحقيقية ، وتسلسلها الزماني والمكاني .

كما اهتم بإظهار عدد من الصراعات الإنسانية الثانوية المؤثرة في نمو الأحداث؛ مثل مشاهد الحب والبُغض، والدسائس والمؤامرات ، والندوات الأدبية ، ومجالس الشرب والغناء .

يُضاف إلى ذلك أنه كان كثيرًا ما يعتمد على أسلوب (السَّرد التصويري) للأشخاص ، والأماكن ، والبلدان .

([1]) نفسه . ص ٤٤٦ : ٤٥١ .
([2]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٤٥٢ : ٤٦٩ .
([3]) نفسه . ص ٤٧٠ : ٥٠٤ .

على أن هذا النهج الفني لم يكن في هذه القصة فقط ، بل كان يسير عليه في جُلِّ قصصه ، متخذاً منه نهجًا فنيًّا يسير عليه في منحاه القصصي ؛ لذلك بدت جميعها متماسكة ذات وحدة عضوية ، وحبكة قصصية .

غير أن نمو الصراعات وتطورها في العمل القصصي عند الجارم كان يشوبها بعض المآخذ الفنية،التي تنال من تسلسل الأحداث ، وتُصيب المتلقي بالملل والركود ، نوجزها في الآتي :-

١ ــ أن الكاتب كان يُبالغ في مزج تسلسل الأحداث بالشعر ، وغالبًا ما يكون ذلك على لسان الشخصية المحورية في القصة (البطل).

وكانت هذه الظاهرة في كل أعماله القصصية ، بحيث كانت كالسيل الجارف .

فلا تكاد تخلو صفحة من صفحات قصصه من بيت ، أو بيتين ، أو مقطوعة من الشعر تُقال على لسان شخصية البطل ، أو بعض المتصلين به على نحو ما صنع في قصة (الشاعر الطموح) ، التي ينتشر فيها شعر المتنبي (البطل) ، وغيره من الشعراء المعاصرين له ، وقد بلغ حجم هذا الشعر أكثر من مائتي بيت ، في قصة لا يتجاوز صفحاتها المائة صفحة([1])

ولا شك في أن هذه المبالغة في ذكر الشعر على هذا النحو ، تنال من الحبكة القصصية ، ويفقدها عنصر التشويق والإثارة .

٢ــ المبالغة في التدخل في سياق الأحداث ، بمخاطبة القارئ ليوجهه إلى شيء ما ، أو يُفسر له بعض الحقائق التاريخية ؛ مما يقطع تسلسل الأحداث ، ويوقف نمو الصراع وتطوره . وقد لاحظنا ذلك مختلف قصصه .

على نحو ما نرى في قصة (غادة رشيد) ، التي ينتشر في سياق أحداثها هذا التدخل المُبالغ فيه . حيث يقول مُعلقًا على ما يدور في خوالج

([1]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٩٥ : ١٨٨ .

نفس (أم زبيدة) ، حينما وجدت (محمودًا) غير مكترث بحديث الحب مع ابنتها، وكان مهتمًا فقط بحديث عن التجارة وأمورها ؛ وهي كانت ترغب في أن يكون الحديث عن الأمر الأول :-

(وليس أشهى لدى المرأة في سن اليأس من أن تشهد منظرًا للحب ، أو تسمع عنه حديثًا ، لقد حرمتها الطبيعة الحبَّ ، الذي لم تنس حلاوته ، فلا أقل من أن تراه في غيرها . لقد ودَّعت راحل الشباب من عهد بعيد ، فهل يُحال بينها وبين أن تسمع عنه خبرًا؟! .....)([1]) .

ونراه في موضع آخر من القصة ذاتها يُعلق على اجتماع أهل (رشيد) في غضب انتظارًا لحضور الحاكم المملوكي الظالم (عثمان خجا) من (أبي قير) إلى بلدهم لتنفيذ حكم الإعدام ، قائلاً :-

(... والتنافس في الشَّرِّ غريزة في الناس ؛ وللشعب إذا اجتمع نفسيَّة خاصة لا تجدها في الفرد ، فهو إذا صال جرئ ، مُخاطر،حَقود ، بطَّاش ، في حين أن كل فرد من أفراده فَسْل ، جبان ، منخوب الفؤاد . وإذا غضب الشعب المجتمع فليس يعلم إلا الله ما ينتهي إليه غضبه من وحشية وجنون . والشعب الثائر طفل كبير ، له عقل الطفل ، . والشعوب تخضع للقوة الغاشمة وتخشاها ، ثم تعتادها ، وقد تتملقها أحيانًا ، ....)([2]) .

ونراه في موضع ثالث يُخاطب القارئ في مقدمة الفصل الثالث عشر من القصة ذاتها ، ومذكرًا إياه بمجرى الأحداث قائلاً :-

(نعود إلى القاهرة بعد أن قضينا معه وقتًا طويلاً في رشيد ، شهدنا فيه بعض حوادثها الجسام ، نعود به إلى القاهرة ، لنرى لنرى أن الخطوب

([1]) نفسه . علي الجارم . ص ٨٥٤ .
([2]) نفسه . ص ٩٢٧ .

فيها مازالت تتلاحق وتتعاقب ، وسحائب الكوارث ما فتئت تتجمع وتتراكم)([1])

وهكذا كان الجارم يتدخل في سياق الأحداث في جُلِّ قصصه ، بحيث كان هذا نهجه في كل أعماله القصصية الأخرى ؛ مما يؤكد عمومية تلك الظاهرة ، وشموليتها في المنحى القصصي لدى الكاتب .

ويبدو أن عمل الجارم في مجال التدريس طغى على البناء الفني للقصة عنده ، فلم يستطع التحكم في تدخلاته التوجيهية للمتلقي ، على الرغم من علمه بأن ذلك يُضعف العمل القصصي ، لأن فن القصة ليس منبرًا خطابيًا يُلقى من فوقه الحِكَم والنصائح الوعظية ، بل هو فن إبداعي يقوم على التسلسل في نمو الصراع وتطوره ، دون تدخل وعظي يمزق هذا التسلسل ، ويُشتت ذهن القارئ .

ج ـ مرحلة حل صراع العُقَد المتشاجرة (الخاتمة) :-

نهاية الصراع المشتجر في القصة ، هو الخاتمة التي يرتضيها الكاتب ، على أن تكون نتيجة طبيعية لما تقدمه الأحداث ، وأن تكون قوية مؤثرة في شكلها ومضمونها .

والمتأمل في نهايات القصص عند الجارم يتبين أنها تدور في محورين ، هما :

١ ــ الاعتماد في الغالب الأعم على تغيير أحوال أوطان الأبطال، بعد موتهم ، في صورة مأساوية حزينة .

فالكاتب اهتم بأن تكون نهايات قصصه جميعها ذات غايات مُحددة ، وهذه الغايات غالبًا ما تكون حزينة أليمة ، حيث يموت الأبطال إما بالقتل ، كما حدث لـ(أبي فراس) في قصة (فارس بني حمدان) ؛ و(الوليد بن يزيد) في قصة (مرح الوليد) .

([1]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٩٣١ .

وإما يكون الموت شنقًا، كما حدث لـــ(عمارة اليمني) ، في قصة (ســيدة القصور) .

وإما يكون الموت حزنًا وكمدًا ، كما حدث لـــ(للمعتمد بن عبَّـــاد)، فـــي قصة (شاعر ملك) ، و(زبيدة بنت البواب) في قصة (غادة رشيد) .

وإما يكون الموت على الفراش كما حدث لـــ(ابن زيـــدون) فـــي قـــصة (هاتف من الأندلس) .

على أن يَعْقُب موت الأبطال بالطريقة السالفة الذكر ، تغير الأحوال فـــي بعض أوطان هؤلاء الأبطال ، مثل انتهاء دولة (بني عبَّاد) ، بعد موت بطـــل القصة ، وقيام دولة (المُرابطين) على أطلالها .

كما أُفنيت الدولة (الفاطمية) ، بعد موت بطلة القصة ، وقيـــام الدولـــة (الأيوبية) على أنقاضها .

٢ ــ الاعتماد على النهايات السريعة المؤثرة ، التي تتسم بـــالقوة الفاعلة في الشكل والمضمون ؛ التي فضلها الكاتب حقيقية مـــأخوذة مـــن سيرة (الأبطال) في كتب التراث ، متضمنة كثيرًا من أبيات الشعر ، وآيـــات من الذكر الحكيم .

على نحو ما نرى في نهاية قصة (شاعر ملـــك)([1]) ، التـــي يقـــول فيهـــا :-

سارت السفن بابن عبَّاد وأسرته في غم ونواح : ملك زال كأنه ضـــحوة من نهار، وعز طار كأنه حلم نائم ، وسطوة وسلطان حـــلَّ مكـــانهم الـــذل والإسار ،فكان المُعتمد دائمًا مُطرقًا مفكرًا،وكان ينظر إلى قيده ويقول :-

قَيْدِي أَمَا تَعْلَمَنِي مُسْلِمًـا؟ أَبَيْتَ أَنْ تُشْفِقَ أَو تَرْحَمَـا!

يُبْصِرُنِي فِيكَ أَبو هَاشِـمٍ فَيَنْثَنِي القَلْبُ وَقَدْ هُشِّمَـا

([1]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٥٠٢ : ٥٠٤ .

ولما بلغت السفن "طنجة" ، رأى "المُعتمد" جماعة بالبادية يستسقون لقلة المطر، وشدة الجفاف ، فقال :-

خَرَجُوا لِيَسْتَسْقُوا فَقُلْتُ لَهُم :خُذُوا دَمْعِي يَنُوب لَكُمْ عَن الأنْوَاءِ
قَالُوا :حَقِيقٌ فِي دُموعِكَ مُقْنِعٌ لَكِنَّهَا مَمْزُوجَة بِدمَـاءِ!

ثم نُقل إلى "أغمات" ، وأودع السجن ، فقال :-

غَريبٌ بِأَرْضِ المغربين أَسِير سَيَبْكِي عَلَيْهِ مِنْبَرٌ وسرير
وَتَنْدبه البِيض الصَّوَارِمِ وَالقَنَا وَيَنْهَل دَمْع بَيْنَهن غَزِيـر

وكانت بناته يعشن في السجن من غزل أيديهن ، في فقـر وكفـاف عيش ، فحل أول عيد له بالأسر ، فدخلن عليه فـي أطمـار باليـة ، وقـد غيرهن البؤس ، وأنحلهن السغب ، فلمَّا رآهن قال :-

فِيمَا مَضَى كُنْتُ بِالأعْيَادِ مَسْرُورًا فَسَاءَكَ العِيدُ فِي "أَغْمَاتَ" مَأْسُورَا
تَرَى بَنَاتُكَ فِي الأطْمَارِ جَائِعَةً يَغْزِلْنَ لِلنَّاسِ لا يَمْلِكْنَ قَطْمِيرَا
يَطَأْنَ فِي الطِّينِ وَالأَقْدَام حَافِيَة كَأَنَّها لم تَطَأْ مِسْكًا وَكَافُورَا

ورأى من نافذة السجن، سربًا من القطا ، يطير حرًّا طليقًا ، فهـاج وجده وأنشده.

بَكَيْتُ إلى سِرْبِ القَطَا أَنْ مَرَرْنَ بِي سَوَارِح لا سِجْن يَعوق وَلا كبل
هَنِيئًا لَهَا أَنْ لم يُفَرَّقْ جَمْعُهَـا وَلا ذَاقَ مِنْهَا البُعْدُ عَنْ أَهْلِهَا أهل
أَلا عَصَمَ اللهُ القَطَا فِي فِرَاخِهَا فَإنَّ فِرَاخِي خَانَهَا المَاءُ وَالظِّل

وقتل "المرابطون" ابنه "المأمون" بـ"قُرْطبـة" ، وابنـه "الراضـي" بـ"رندة" ، فزاد جزعه ، واشتد حزنه ، فقال :-

يا غيم عيني أقوى منك تهتانا أبكي لحزن وما حملت أحزانا
بكيت "فتحا" فإن ناديت سلوته بدا "يزيد" فزاد القلب نيرانا
يا فلذتي كبد يأبى تقطعهـا عن وجدها بكما ما عشت سلوانا

ولم يزل في أنين وحنين ، يرسل الزفرات ، ويطوي صدره اليأس ، حتى أدركته منيته ، سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

ومن العجب أن هذا الملك الذي سار في الخافقين ذكره ، وهز أعطاف الزمان شعره ، وكان اسمه على كل لسان ، والثناء عليه يجلجل في كل مكان ، يُنادى للصلاة عليه بعد موته فيُقال : "الصلاة على الغريب" !! .

إن من الغريب أن يكون ابن عبَّادًا غريبًا !! .

وبعد أيام من موته ، قدم إلى "أغمات" شاعره "أبو بكر بن عبد الصمد" ، وكان اليوم يوم عيد ، فوقف على قبره خاشعًا باكيًا .

وحشد الناس حول قبره يبكون وينتحبون ، ثم سكن الجميع ، وأخذ "بن عبد الصمد" ينشد :-

مَلِكُ المُلوكِ أَ سَامِعٌ فَأُنَادِي أَمْ قَدْ عَدَتْكَ عَنِ السَّمَاعِ عَوَادِي؟

وقرأ قارئ بصوت نديٍّ ، شجي النبرات :-

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ ، تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ، بِيَدِكَ الخَيْرُ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

وعلى نحو ما نرى في نهاية قصة (فارس بني حمدان) ، التي يقول فيها :-

ومرت سنة مات فيها (سيف الدولة)،فترك موته في كل نفس لوعة . وولَّى الملك بعده ابنه (أبو المعالي سعد الدولة) . وكان في الخامسة عشرة من عُمره ضعيفًا بأعباء المُلك كاهله ، فتحكم فيه (قرعويه) . وكاد يقوم بشؤون المُلك دونه ، وملأ صدره حقدًا على خاله (أبي فراس) ، فبرم (أبو فراس) بدسائس (قرعويه) ، وأحزنه أن يصبح ابن أخته لُعبة في أيدي الطامعين في الملك ، المتوثبين عليه . فخرج على (سعد الدولة) ، في ربيع

الآخر سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ، وضم إليه بعض الجنود ، وسار بهم نحو (حمص) ، يريد الاستيلاء عليها . وكانت (نجلاء) وابنته (فوز) معه في هذه الغزوة . وما كاد يعلم (قرعويه) بنيَّته حتى أغرى (سعد الدولة) بإرسال جيش عظيم لمحاربته ، وحينما التقى الفريقان بالقرب من ضيعة تُسمَّى (صدد)،استهوى (قرعويه) جنود (أبي فراس) بالمال . فانصرفوا عنه، ودهمه بجيش كثير العُدَّة والعُدَد .

وحارب (أبو فراس) حرب المُستميت،ولكن السِّهام انصبَّت عليه من كل ناحية ، وانتاشته السيوف من كل مكان ، فسقط عن جواده مُثخَنًا بالجراح ، فتركه أعداؤه ، وهو يجود بأنفاس قصار ، وانطلقت إليه (نجلاء)، و(أمه)،و(وابنته) ، حزينات نائحات ، وحملت (نجلاء) رأسه فوضعته فوق ركبتها في رفق وحنان ، وأخذت تناديه ، وتُناجيه بعبارات تُقطع القلب ، وتُذيب الصَّخر . فقامت (أمه) حوله تلطم عينيها حتى أذهبت بصرها ، وطال بكاء (فوز) وجزعها ، وامتد نشيجها ، ففتح (أبو فراس) عينيه وهو يحتضر، والموت يُزاحم أنفاسه ، ونظر إلى (نجلاء) ، ثم إلى (أمه) ، ثم إلى (ابنته) ،وقال في صوت متقطع :-

أَبُنَيَّتِي لا تَجْزَعِي ... كُلُّ الأَنَامِ إلى ذِهَابْ
نُوحِي عَلَيَّ بِحَسْرَةٍ ... مِنْ خَلْفِ سترك وَالحِجَابْ
قُولِي إذَا نَادَيْتِنِي ... وَعَيِيتُ عَنْ رَدِّ الجَوابْ
زينُ الشَّبَابِ أَبُو فِرَا ... سٍ لَمْ يُمَتَّعْ بِالشَّبَابْ !([1])

وهكذا كانت نهايات قصص الجارم تتسم بالقوة والتأثير ، لأنه آثرها نهايات حقيقية كما هي في كتب السيرة والتراجم ، متضمنة ــ في الغالب الأعم ــ بعض الآيات القرآنية ، وكثيرًا من الأبيات الشعرية المؤثرة في وجدان المتلقي وعقله .

([1]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٩٢ .

ثانياً : رسم الشخوص .

تنبع الشخوص المستخدمة في العمل القصصي من أمرين، هما : (الخيال ــ والواقع) .

وهي تنقسم باعتبار أهميتها في الحبكة الفنية إلى شخصية (محورية) ، وأخرى (مساعدة) .

فالشخوص (المحورية) ، هي التي تتعلق بها الأحداث ، وتتطور بتطورها ، وتكتمل ملامحها بنهاياتها،وهي في حالة اشتجار دائم مع النفس ، أو الآخرين .

وهذه الشخوص تكون دائمًا حيَّة (مقنعة في العمل القصصي إذا اتبع الكاتب عدة أمور من أهمها : أن يضع الكاتب لها اسمًا ، وأن يوضح ملامحها الجسدية والنفسية،وأن يُقدمها وهي تتحرك داخل عالمها القصصي ، وأن يجعلها وفيَّة لطبيعة النموذج الذي تعكس صورته في الواقع)([1]) .

وعلى الكاتب أن يعمل جاهدًا على تلاحم جميع شخوص قصته ، بحيث يظهر واضحًا ما بينها من تناسق وتلاؤم،من خلال التعاون التام بينها ، دون تنافر أو نفور ؛ فتظهر كل شخصية مؤثرة بشكل مباشر في بقية الشخوص ؛ ثم تظهر بصمات تناغمها وتآزرها واضحة في تطور الحدث ونموه . على ما قرره الدكتور/طه وادي في قوله :-

(... مثل فريق يعزف ــ سيمفونية ــ موسيقية ، على كل فرد منهم أن يعزف بآلة خاصة به وحده ، وهم جميعًا رغم التمايز والاختلاف ، وأن بعضهم يجلس في المقدمة ، وبعضهم يقف في الصفوف الخلفية ..... رغم

([1]) دراسات في نقد الرواية . د / طه وادي . ص ٢٥ وما بعدها . دار المعارف بالقاهرة . ط : الثانية سنة ١٩٩٣م .

كل هذا عليهم جميعًا أن يعزفوا لحنًا واحدًا يخلو من أي نشاز،وإنما يجب أن يكون متسق الإيقاع ، متناغم الأداء . كذلك الحال في الرواية ....)([1]) .

على أن الشخصية القصصية لا تُقَدَّم لذاتها ، ولكن لها وظيفة فنية كبيرة تتضح في توليد الأحداث ونموها ؛ وهذا يعني أن نمو الأحداث وتطورها في القصة يحتاج إلى شخصية مناسبة تعمل على تطورها بشكل متصاعد ومتسلسل .

لذلك كان على الكاتب الاهتمام برسم الشخوص القصصية الملائمة للأحداث العمل الدرامي .

ويُعد عنصر رسم الشخصية الإنسانية من أبرز العناصر التي يعتمد عليها الروائي ، فكلما أحاط بتلك الشخصية ، وتعمق في رسم ملامحها ، جاءت متناسبة مع السياق الروائي العام ، وبلغت تجاوبها في نفس متلقيها ، وتأثرت بسلوكها ، وتفسيره لهذا السلوك في الواقع والخيال([2]) .

وإذا كان الاهتمام برسم شخوص العمل القصصي بهذه الدقة الكبيرة؛ فالأمر يزداد اهتمامًا وتعمقًا إذا كانت تلك الشخوص من النوع التاريخي الواقعي .

لأن الشخصية التاريخية الواقعية تُلزِم الكاتب الإحاطة بالعوامل الداخلية والخارجية لها ، والمؤثرة في السياق الروائي .

كما تُلزمه بالسيطرة على الحقائق الحياتية والبيئية الخاصة بتلك الشخصية ، ولا تُجيز له التصرف في شيء من ذلك إلا في القليل النادر من المواقف التي تخدم تسلسل الحدث .

([1]) دراسات في النقد الرواية.د / طه وادي.ص ٢٨ وما بعدها.دار المعارف بالقاهرة.ط : الثانية سنة ١٩٩٣م .

([2]) لمزيد من التفاصيل راجع : مجلة الأزهر : عدد ذي القعدة عام ١٤٠٨هـ . ص ١٥٢٦ . بتصرف . مقال بعنوان (شخصية عالم الدين في الرواية العربية) . بقلم الأستاذ / شلتاغ عبود .

بيد أن الشخصية التاريخية الأدبية لها خصوصية في رسم شخوصها؛ لأنها تحتاج إلى مَنْ يجعلها من ذوات الآثار الفنية المُعبرة عن خوالجها الداخلية والخارجية ، وهذا يحتاج من الكاتب بذل جهد أكبر من غيرها من الشخصيات . على ما قرره الدكتور/شوقي ضيف في قوله :-

(إن تصوير الأدباء من أصعب الأشياء ، إذ لابد لمن يصورهم أن يرسم ملامحهم الأدبية رسمًا بيِّنًا بالضبط ، كما يرسم الرسامون الوجوه بقسماتها ، وكل ما يُميِّزها ....)([1]) .

ولقد تتبع الدكتور/ إبراهيم عوضين طُرق الكُتَّاب في رسم شخوصهم القصصية، في قوله : (.. فمنهم مَنْ يُقدِّمها جملة واحدة في أول ظهورها في العمل القصصي ، ثم يتتبعها بعد ذلك في كل مرحلة من حياتها مُعبرًا عمَّا يطرأ عليها من تغيير ، ومُفصِحًا عمَّا يكتنفها من غموض لم يكشفه التقديم الأول ؛ ومنهم مَنْ يُقدِّمها وهي تتحرك داخل القصة ، ويكشف عن صفاتها الخاصة من خلال تسلسل الأحداث ، وتتابع المواقف ، وتوالي الفصول ؛ ومن ثم لا يكمل الانطباع الكُلِّي عنها لدى القارئ ، إلا إذا فرغ من قراءتها كلها ؛ ومنهم مَنْ يفعل خلاف هاتين الطريقتين.... .

والكُتَّاب في هذا كله قد يكشفون كل الأبعاد الخاصة برسم الشخصية الروائية (البعد الجسمي ، والبعد الاجتماعي،والبعد النفسي) ، وقد يقتصرون على بعضها دون البعض ، حسب ما يتطلبه نمو الأحداث وتطورها ، فيجب على الكاتب أن يلمح الجانب الذي يتطلبه الحدث ليعمد إليه ، ويُسلط عليه منظاره ، وقلمه ، فليس مطلوبًا منه أن يُقدم صورة كاملة للشخصية ، ولا أن يقصر تصويره على الخارج أو الداخل ، وإنما عليه أن يصور الجانب الذي تستدعيه القصة سواء كان خارجيًا ، أو داخليًا

([1]) في النقد الأدبي . د / شوقي ضيف . ص ٥٨ . دار المعارف بمصر . ط :السادسة .

، وسواء كان جزئيًّا أو كُليًّا ، وسواء كان واحدًا من جوانب الشخصية ، أو جوانبها كلها([1]) .

ولقد تتبع الجارم هذا النهج في رسم شخصياته القصصية التاريخية جميعًا ، حيث كان يقوم بتقديم الشخصية القصصية في أعماله في أول ظهورها في العمل الروائي ، ثم يتناول بعد ذلك فترات حياتها الاجتماعية شيئًا فشيئًا ؛ تكون طويلة مفصلة في الشخوص المحورية ، وبعض الشخوص المساعدة المهمة ، وتكون قصيرة وسريعة التناول في الشخوص الثانوية .

وهو في ذلك التناول قد يعتمد على الأبعاد الخاصة في رسم الشخوص جميعها (البعد الجسمي ، والبعد الاجتماعي ، والبعد النفسي).

على نحو ما نرى في رسم شخوص قصة (هاتف من الأندلس)، حيث ينتمي شخوصها إلى أجناس مختلفة ، وطبقات متعددة ، مستمدة من التراث العربي الأندلسي ، لا سيما تاريخ الأدب العربي في عصر الطوائف . وكانت شخصيات القصة كالتالي :-

أ ـ الشخصية المحورية :-

هي شخصية (ابن زيدون) ، الشاعر الأندلسي الشهير ، وقد رسمها الكاتب من خلال تضاعيف فترة كبيرة من حياته ، تصل إلى أربعين عامًا ، وعرَّج على كثير من جوانبها المرتبطة بالسياسة ، والمجتمع ، والشعر ، والحب .

ب ـ الشخوص المساعدة :-

١ ـ ولادة بنت المُستكفي :- من الفتيات التي تُنسب إلى عِلْية القوم بالأندلس ، وكانت جميلة باهرة ، وأديبة شاعرة ، اتصل بها (ابن

([1]) لمزيد من التفاصيل راجع : في الأدب العربي المعاصر . د / إبراهيم عوضين . ص ١٥٢ بتصرف .

زيدون) ، من خلال منتداها الأدبي ، وقامت بينهما علاقة عاطفية عفيفة . لكن لم يمهلهما القدر فرصة للزواج .

٢ ـ عائشة بنت غالب :- فتاة تُنسب إلى العرب من جهة والدها ، وإلى الأسبان من جهة أمها ، اتصل بها (ابن زيدون) ، من خلال منتداها الأدبي أيضًا ، وقامت بينهما علاقة عاطفية عفيفة ، انقطعت بعد اتصاله بـ(ولادة) .

٣ ـ المعتمد محمد بن عبّاد :- خليفة والده (عبَّاد بن محمد) ، في حكم (أشبيلية)، وقد عاصره (ابن زيدون) ، وعاش في كنه فترة من الزمان ، وكان من المقربين لديه،مما جعله يُشير عليه بغزو (قُرطبة) ، وضمها إلى حظيرته .

٤ ـ المعتضد عبّاد بن محمد :- صاحب دولة (بني عبَّاد) بـ(أشبيلية)، اتصل به (ابن زيدون) ، وعاش في كنفه ، ومدحه بكثير من الأشعار .

٥ ـ نائلة الدمشقية :- كانت لها مكانة اجتماعية عظيمة ، وهي صديقة ولادة ، وابن زيدون الحميمة ، تتمتع بذكاء فطري كبير مكنها من أن تكون الوسيط في اتصال ابن زيدون وولادة وتعارفهما .

٦ ـ ابن عبدوس :- شاعر من شعراء (قُرطبة) ، كان من المحبين لـ(ولاَّدة) ، لذلك كان يُواظب على حضور ندواتها الشعرية ، اشتعل الحقد في قلبه بعد انصرافها عنه بسبب حبها لـ(ابن زيدون) .

٧ ـ أبو الحزم بن جهور :- خليفة دولة (بني جهور)،في (قُرطبة) ؛ عاش كنفه (ابن زيدون) ، ومدحه بشعره ، وتقلد الوزارة في عهده ، لكن الحُسَّاد أوقعوا بينهما ، فأدخله السجن ، وظل به فترة طويلة .

٨ ـ أبو الوليد محمد بن جهور :- خليفة والده (ابن جهور) ، في حكم قُرطبة ، وكان صديقًا حميمًا لـ(ابن زيدن) ، لذلك عفا عنه وأخرجه من السجن ، وأعاد له مكانته المفقودة .

٩ ـ أبو حفص بن برد :- صديقًا حميمًا لـ(ابن زيدن) ، ووزيرًا في دولة (بني جهور) ، وأحد المقربين من حاكمها (أبي حزم بن جهور) .

١٠ ـ ملك الفرنجة :- قائد أوربي يتحين الفرصة حتى يهجم على بلاد العرب ، لجأت إليه (عائشة بنت غالب) ، بعد نفيها من (قُرطبة) ، فصنع منها جاسوسة على العرب .

١١ ـ أسبيتو :- جاسوس أسباني ، تخفَّى في صورة طالب جاء لدراسة الطب على يد (ابن زُهْرٍ) .

****

والمتتبع لأحداث هذه القصة يُدرك أن الشخصية المحورية ترتكز عليها غالبية الأحداث ، ودارت في فلكها بقية الشخوص .

وقد التزم الجارم في رسم هذه الشخوص بطريقة كشف جميع الأبعاد الشخصية الثلاثة (البعد الجسمي ، والبعد الاجتماعي ، والبعد النفسي) .

حيث رسم البعد الجسمي للشخصية المحورية في الصفحات الأولى من القصة بعد المقدمة ، بسرد تصويري قال فيه :-

... ذلك الفتى هو (أحمد بن الوليد بن زيدون) ، أديب الأندلس وشاعرها ، وهو شاب مُؤْتَلِقُ الشباب ، ناضر العود ، معتدل القامة ، وسيم الوجه ، عربي الملامح والشمائل . حاجبان إذا اقتربا عرفت فيهما التصميم والعناد والشكيمة ، وعينان فيهما ذهول الشَّاعريَّة ، وبُعْدُ مدى الخيال ، وأنف أشمُّ يدلّ على الكبرياء، والثقة بالنفس ، وفم مُفَوَّه خُلِق ليكون خَطيبًا .

و(ابن زيدون) من بيت علم وأدب وثراء ونعمة ، كان أبوه من كبار قُضاة (قُرطبة) ، رفيع المنزلة ، عزيز الجانب ، فنشأ الفتى كما ينشأ المُترَفين ، ناعم العيش مُدلَّلاً،يتقلَّب في جنبات النعيم ، ولكن ميوله الفطرية ، ومواهبه الموروثة كانت تختطف من فراغه ساعات لدراسة الأدب وفنون اللغة ، فاطلع على مكنونها ، وَظَفَر بذخائرها ، وخرج منها وافر النصيب ضليعًا متمكنًا . والعبقرية تكفيها النظرة...([1])

وهكذا قدم الكاتب سرد تصويري يوضح ملامح الشخصية المحورية في القصة، حيث كشف أهم مقومات البُعد الشكلي لهيئتها ، دفعة واحدة .

ثم انتقل لإبراز البعد الاجتماعي لها ؛ فبعد كشف هيئتها ، كان عليه تناول بيئتها التي نشأة فيها ، وأسرتها التي قامت برعايتها ، حتى يصل إلى الكشف عن سلوكها المتمثل في قضاء أكثر الأوقات مُحصِّلاً للعلم ، وقارئًا في كتب التراث العربي المهتمة باللغة ، وفنون الأدب .

ثم يتتبع الكاتب حياة الشخصية المحورية (ابن زيدون) الاجتماعية، ويتقصَّى مراحلها شيئًا فشيئًا ، موضحًا سلوكها في كل مرحلة ، وما يطرأ عليها من تطور في كل حقبة ، بمساعدة من الشخوص الثانوية ؛ على نحو ما نرى في الآتي :-

ـ اتصال (ابن زيدون) بـ(ولادة بنت المُستكفي) ، عن طريق ندوة (نائلة الدمشقية) الأدبية ، وهما من الشخوص المساعدة المهمة في هذا العمل الروائي .

وقد كان لهاتين السيدتين دور كبير في اتصال (ابن زيدون) ، بـ(أبي الحزم بن جهور) ، وتقلده الوزارة في حكومته ، حتى بات واحدًا من كبار القوم في (قُرطبة) ، وهذا ما يوضحه الحوار التالي :-

.... ثم تقدَّم إلى (نائلة) باسمًا وهو يقول :-

([1]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٥٠٨ ، ٥٠٩ .

لقد أحسنت بي يا سيدتي،إذ مهدت لي سبيل الوصول إلى ذلك المُلك السَّماوي ، الذي كانت تعجز عنه الأسباب ، وتتعثر الأوهام .

ــ فأجابته (نائلة) ، وهي تهزّ كتفه في حنو :-

اصبر يــا فتى ، فإنك لا تدري ما تدبره لك (نائلــة) ، مــن رفيــع الشَّأن ، وبعيد المنزلة ، ثم تنهدت وقالت :-

ــ والله ما أدري سرَّ الحافز العنيف الذي يــدفعني إلــى الاهتمــام بأمرك، والكدح في الوصول بك إلى أسمى الغايــات ، وبــذل الجهــد فــي حياطتك من كل يد تمتد إليك بأذى . لعلي أحببتك يا أبا الوليد لأني بعــد أن فقدت ابني منذ حين بعيد بقي حنان الأمومة فيَّ كمينًا حائرًا متطلعًا ، فلــم يجد بين شباب قُرطبة إلا إيَّاك ، لقد مرَّ بحياتي كثير وكثير ممن تزدان بهم المحافل ، لكن قلبي لم يهتف إلا بك ، ولم يرفَّ جناحاه إلا لك ، ...([1]) .

ويستمر الجارم في رسم توضيحي للشخصية المحورية فــي تلــك المرحلة المهمة من حياته ، قائلاً :-

.... عاش (ابن زيدون) في هناءة وبُلهنية ، وأصبح فتى (قُرطبــة) المُدلَّل،وبطلها المُرَجَّى ، وشاعرها الذي لا يُجارى ، وكاتبها الذي لا يُمارى ، نال السعادة في الحب حينما رضيته (ولاَّدة) خطيبًا ، فغنَّى بهذا الحــب ، وأرسل فيه أشعارًا أرق من النَّسيم ، وأنضر من صفحة الــروض الوســيم .ولقد كان حبهما عُذريًّا فِرْدَوسيًّا ، أطهر من ماء الغمــام ، وأصــفى مــن بسمات الصباح ، ثم نال السعادة في منصبه ، فأعلى ابن جهــور مكانــه ، واصطنعه لنفسه، ونوه بفضله ، وأشاد بذكره ، وقدمــه علــى نُظرائــه ، وكثيرًا ما أنفذه إلى الملوك والطوائف ، ليسفِر بينه وبيــنهم ، وكثــرً مــا استكتبه الرسائل، التي تُضرب ببلاغتها الأمثال.

([1]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٥٤٠ .

ولمَّا عظم إقبال الدنيا عليه ، كثر حاسدوه ، والناقمون منه ، فهو يقول لـ(ابن جهور) في قصيدة([1]) :-

فديتك كم ألقى الفواغر من عدًا قُراهم لنيران الفساد ثقابُ
عفا عنهم قدري الرفيع فاهجروا وباينهم خُلقي الجميلُ فعابوا
إذا راق حسن الروض أو فاح طيبه فما ضرَّه أن ظنَّ فيه ذبابُ

ثم يُتابع الجارم تطورات الأحداث ، ومعها تطور الشخصية المحورية (ابن زيدون) ، في مرحلة جديدة من مراحل حياتها .

فبسبب الدسائس والمؤامرات ، أصبح مكروهًا عند ابن جهور ، فأمر بالقبض عليه ، إيداعه السجن . وظل به مدة طويلة ، يُعاني ألام الأسر ، وينتظر الحرية في كل لحظة ، لكنه فقد الأمل في ذلك ، فعزم على الفرار ، وساعده على ذلك صديقتاه (من الشخوص المساعدة) ، ولاَّدة ، ونائلة .

فر (ابن زيدون) من السجن ، واختفى في بيت عجوز في (قُرطبة) ، حتى تم القبض عليه مرة ثانية .

ويستمر الجارم في تتبع ملامح الشخصية المحورية ، وفي تعقب تطورها مع تطور الأحداث ، فهي تتقلب من حال إلى حال مع تقلب الأحداث وصراعها المستمر .

فالأحداث تُشير إلى أن (عميد الجماعة) فارق الحياة أثناء القبض على (ابن زيدون) ، فعفا عنه الخليفة الجديد ، وقلَّده الوزارة من جديد ، لتيقنه من أنه أُودع السجن ظُلمًا .

لقد تقلبت الأحداث مرة أخرى ، وتقلبت معها ملامح الشخصية المحورية .

([1]) نفسه . ص ٥٧٨ .

حيث شعر (ابن زيدون) ببدء تغير صاحبه ، فخاف علـــى نفـــسه ، ففر إلى (أشبيلية)، وأقام عند حاكمها (المعتضد عبَّاد بـــن محمـــد)،عزيـــزًا مُكرَّمًا ، مسموع الكلمة ، نـــافذ الرأي ؛ حتى مات الخليفـــة (عبَّـــاد ابـــن محمد) ، وتولى الأمر من بعده ولي العهد المُعتمد ــ وكان أديبًا شـــاعرًا ــ فأقبل على ابن زيدون ، ووالى عليه نعـــمه ، فملأ قلوب حاســـديه عليـــه حقدًا ، وتألب عليه نفر كثير .....

ورغم ذلك لم يسمع الخليفة لهم ، بل إنه أخذ في تعميق صلته بـــــ (ابن زيدون).

ويدور الفلك دورته ، وتقوى شكيمة (ابن زيدون) ، وبـــات رفيـــع الشأن ، بعيد المنزلة مرة أخرى ، ويظل هكذا إلى نهاية حياته ....

بيد أن الكاتب في رسم قسمات نهاية الشخصية المحوريـــة ، وقـــد جسدها حزينة بائسة ، كما سطرها التاريخ ، فيقول :-

(... واقتنع المعتمد بالرأي ، وسار الرسول ، وأعدَّ الجيش ، وكان في مقدمته "المعتمد ، وابـــن زيدون" ، وبلـــغ الجنـــود أســـوار قرطبـــة ، فدخلوها ، وقد فُتحت أمامهم الأبواب ، وذُللت لهم السبل ، وقَتَلَ "المُعتمـــد" ابن عُكاشة ، وأباد جيشه ، وظن عبد الملك أن الأمر انتهى عند هذا الحد ، وأن المعتمد سيعود إلى "أشبيلية" ، ولكن المعتمد لم يفعل شيئًا من هذا ، بل قبض على عبد الملك ، وعلى أخوته ، وسائر أهل بيته ، وأودعهم السجون

وسُرَّ "ابن زيدون" بلقاء "ولاَّدة" ، فبكيا معًا مـــن شـــدة ســـرورهما باللقاء ،وبكي معًا لأن "نائلة" لم تكن معهما بعد أن عادت إليهما الأيام .

التقى "ابن زيدون" بـــ"ولاَّدة" ، ولكن بعد أن فـــات الفوت ، وذهبت بشبابه السنون ، ولوت قناته كوارث الأيام ، ونيَّفت ســـنة علـــى الثامنـــة والستين . فكان كالمُتَمَنِّي أن يَرى فلقًا من الصباح ، فلمَّا أن رآه عمى .

عاد "ابن زيدون" إلى "قُرطبة" ، ولكن لم يعد إليه هنـــاء "قُرطبـــة"، وطيب أيام "قُرطبة" ، فقد لبث أشهرًا يُعاني آلام الأمراض ، وآلام الخيبـــة ، لأنه رأى بعد طول التجربة أن المعتمد لا يصلح لما كان يُرجـــى منـــه مـــن خطيرات الأمور .

اشتدَّ في إحدى الليالي به المرض ، فجلست "ولاَّدة" حـــول ســـريره باكية نادبة ، وهو يجود بنفسه ، ويلفظ أنفاسًا قـــصارًا ، كأنهـــا خفقـــات السِّراج آخر الليل ، ويُردد :

ألم يـأن أن يبكي الغمامُ على مثلي ويطلب ثـأري البرق منصلتَ النصلِ

وهلاَّ أقـامت أنجم الليل مأتمًا لتندب في الآفاق ما ضاع من فضلي

وما زال يُكرر البيتين ، حتى أدركته غشية أوردته الـــرَّدى ، ولـــم تجعل ليومه غدًا)([1]) .

وهكذا اهتم الكاتب برسم الشخصية المحورية مـــن خـــلال إضـــاءة قسماتها الجسمية ، وإظهار جوانب سلوكها الاجتماعي ، ومدى تجاوبها مع تطور الأحداث ونموها .

أما الجانب النفسي فكان يتعرض له الكاتب بين الحين والآخر حسب متطلبات نمو الحدث؛على ما نرى في مُناجاة (ابن زيدون) ذاته ، ليوضح ما يدور في مكنون نفسه من خوالج الإشراق ، أو الغيوم .

مثلما حدث عنـــدما رأى (ابـــن زيـــدون) ولاَّدة أول مـــرة ، وهـــي منصرفـــه بغيـــره ، فعصفـــت به لـــواعج نفسه ، ولعبـــت بـــه هـــواجس وجدانـــه ... فقال :-

(... أين أنا ؟ وأين كنت ؟ ومَنْ هذه التي كانـــت بجـــانبي ، حتـــى أخذها هذا المنحوس الطَّلعة ، الأغَمُّ القفا ، والوغد المأفون ؟ أ هـــذه ولاَّدة بنت المُستكفي ، التي صورها الله للجمال مثالاً ، وجعلها للظرف عنوانًا ؟ .

([1]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٦٦٦ .

ولاَّدة التي تأنقت القدرة الإلهية في خلقها ، لتكون نموذجًا لما أعدَّ الله للمؤمنين من ثواب في جنَّات النعيم ، ومضى مجسَّمًا لما حاول الشعراء أن يبوحوا ببعضه ، فوقف بهم الخيال ، وعجزت القافية؟ وأين أنا منها ؟ وأين منها ذلك الشاعر التائه المضطرب ، الذي أضاع ردحًا من شبابه في غزل كاذب ، ونعيم موهوب ، وأبواب الجنة منه على قيد خُطوات ، وحوراء الفردوس في دار تكاد تصاقب داره ؟ أني رأيت في عينيها حبًّا ملائكيًّا طاهرًا ، كاد يحترق له قلبي، وسمعت في صوتها رنَّة عذبة سحرت لُبِّي . فهل أنا محب محبوب ؟ هل أنا بهذا الجمال قمين ؟ وهل تُقبِل الجنة عليَّ هكذا مرة واحدة من غير أن أخوض إليها المكاره ؟ وهل يسعى إليَّ هذا الحُسن الفاتن طائعًا مرخيَّ العنان من غير أن أقضي فيه ليلة سهاد، أو سفح دمعة عين ؟ إنني لا أكاد أصدق . إن قوانين الدنيا ، ومناهج الأيام لا تأتي على هذا النحو ... إن الدنيا لا تجود بنعيم إلا إذا أخذت من الجهد والكد والتبريح ما يُساوي ثمنه أو يزيد ، وهي إذا أعطت لا تُعطي مرة واحدة ، ... ولكنها تبض بقطرة قطرة ، حتى تفسد معنى العطاء والإحسان ...)([1]) .

فقد رسم الجارم في هذه الفقرة الجانب النفسي للشخصية المحورية (ابن زيدون) ، على أثر رؤيته (ولاَّدة بنت المُستكفي) ، من خلال مُناجاة ذاتية ، ذهبت به كل مذهب في شأن (ولاَّدة) .

وهذا الجانب النفسي إرتأى الكاتب وجوده في هذه المرحلة من نمو الأحداث ، ليزداد الحدث تشويقًا وجدانيًّا يجذب المتلقي إلى ما تنتهي إليه الاشتجارات الوجدانية .

أضف إلى ذلك بعض التضاعيف النفسية ، التي تدخل الكاتب في تصويرها ، عن طريق السرد القصصي ، بحيث يكون تحليلاً نفسيًّا سريعًا

([1]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٥٣٧ ، ٥٣٨ .

مركَّزًا يُساهم في رسم الشخصية (المحورية) ، ويبرز تطورها مع تطور الأحداث .

من ذلك ما قدمه الجارم عن صورة خوالج (ابن زيدون) النفسية ، التي تموج بالسعادة والابتهاج عقب إعلان خطبته لـ(ولاَّدة) ، وخوفه على ضياع هذه السعادة وتلاشيها من حياته ، خاصة أن يعلم أن هناك من الحاسدين مَنْ يستطيع أن يُكدرها ، ويقف في طريق استمرارها . يقول الجارم :-

.... عاش "ابن زيدون" بعد خطبته لـ"ولاَّدة" سعيدًا ، فنسى أيَّام شدته ، وغفر للزمان زلَّته ، ولم يُفكر في "عائشة بنت غالب" ، وكاد يغفر لها كل ذنوبها ، غير أنه كان يحسُّ بأن شيئًا يُلاحقه ، ويعترض طريقه ، ويكدر عليه صفوه ، ذلك هو حسد الحاسدين ، وكيد الكائدين . ولكنه كان كلما مر به هذا الخاطر هزَّ له كتفيه ، ومطَّ شفتيه ، وأراد أن يعيش في الساعة التي هو فيها ...([1]) .

ومن تضاعيف الشخصية المحورية النفسية ، ما قدمه الكاتب عنها ، في حزنها ويأسها ، حينما تطورت الأحداث ، وبات يُعاني آلام الوحدة ، وذل الأسر ، وهو في السجن يبكي آماله وطموحه ... وذلك من خلال سرد تصويري لها يقول فيه :-

... كان (ابن زيدون) لا يزال في سجنه يُقاسي ألم الوحدة ، وذل الإسار ، ويبكي بُعده عن (ولاَّدة) ، ويندب آماله ، التي طارت مع الرياح . فقضى في السجن أكثر من عام يُخاطب الجدران ، ويُنادم القضبان ، ويشكو بثَّه إلى نفسه ، وينتظر الفرج في كل لحظة ، فيخيب أمله في كل لحظة ، ويستقبل النهار المشرق ، بمثل ما يستقبل به الليل العابس ، وإذا أظلمت

([1]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٥٧٩ .

نفس المرء فماذا يُفيد الضياء ؟ وسعادة الإنسان وشقاؤه من نفسه التي بين جنبيه ، فقد تريه الأمن خوفًا ، وقد تريه البؤس نعيمًا ....([1]) .

ولم تقف طريقة الكاتب في التدخل التصويري النفسي المُكثَّف ، الذي يقف بالمتلقي على تضاعيف وجدان الشخصية الداخلية والخارجية، عند حد الشخصية المحورية ، بل تجاوز ذلك إلى الشخصيات المساعدة كذلك ، كل حسب دوره المُحدد في نمو الأحداث وتسلسلها .

وهكذا كان الجارم يرسم شخصيات قصصه التاريخية متتبعًا المنهج التقليدي القائم على البعد الشكلي ، والاجتماعي ، والنفسي .

وتأكيدًا على ما ذكرناه عن طريقة الجارم في رسم شخوصه التاريخية ، نُحاول تتبع البناء الفني لشخصية أخرى في قصة أخرى ، مثل (فارس بني حمدان) . حيث بدأها بتقديم سرد تصويري للشخصية ، استخدم فيه معجمه ، ليرسم قسمات شخصيته المحورية (أبو فراس الحمداني) ، بطريقة تُبْنى على إيقاف الحركة الدرامية ، وتقديم سرد تصويري للشخصية عند بدء ظهورها ، ثم استكمالها فيما بعد .

فنراه يرسم شخصية (أبي فراس) ، حينما كان طفلاً، على لسان أخيه بقوله :-

.... إن هذا الطفل أعجوبة الأعاجيب ! ، إنه وهو في السابعة يبهرك برأي أصيل ، وعزم صليب ، وقلب لم يعرف الرعب ، ولم ينل منه الفزع ، إنك ترين في عينيه نبل محتده،وقوة نفسية ، وكرم خيمه . وإن في ابتسامته الهادئة المشرقة أشعَّة من الآمال الجسام ، التي تسخر من الدهر ، وتطمح إلى عظائم الأمور . هذا الطفل الصغير يا أمي عُصارة المجد الحمداني ، ومُلتقى عناصر قوته ...([2]) .

([1]) نفسه . ص ٦٣٣ .
([2]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ١٢ ، ١٣ .

ثم يعود الكاتب في موضع آخر يرسم تطـورات تلـك الشخـصية الجسمية ، من خلال تطور الأحداث المصاحبة له . حيث يقول :-

.... كان (أبو فراس) حقيقًا بكل هذه الضَّجة ، فقد زادته الرجولـة وسَامة وقسامة ، فكان مشرق الوجه ، نافذ نظرات العيون ، متين الجسم ، قوي العضل ، تتأجج فيه نيران الشباب ، وتفور في نفسه نزعات عاتية من الطموح إلى المجد ، والوثوب إلى مراتب العظمة . وكان صـورة صـادقة للبطولة في القرن الرابع الهجري ، شديد الثقة بنفـسه ، قليـل الاكتـراث بالنوازل والخطوب ، يعيش عيشة الأمـراء المتـرفين فـي ثروة،وجـاه ، ورفاغة من العيش، ويتسلى بقرض الشعر ، وركوب الخيل ، والمصارعة ، والصيد . والتف حوله كثير من أبناء القواد وكبار الأُسر . فكانوا يقـضون أكثر وقتهم في ترف ولهو ، وتناشد للأشعار ، بين مروج منبج الخـضر ، وأرباضها الضاحكة ، وبساتينها الناضرة ، وكان يحلو لهم عند الأصـيل أن يجلسوا إلى جسر النُّهَيْرات التي يفيض ماؤها في الـشتاء ، ويجـف عنـد الصيف ...([1]) .

وهكذا رسم الجارم صورة توضح قسمات الشخـصية المحوريـة ، وتظهر تطوراتها الخلقية ، تبعًا لتطور الأحداث ونموها .

ثم يستكمل الكاتب رسم صورة شخصيته ، بانتقاله إلى تتبع حياته ، من خلال كشف البعد الاجتماعي للشخـصية .حيـث أظهـر علاقـة تلـك الشخصية بأمه (ثخينة) ، وأخيه (الحُسَيْن) ، وحاضنته (عائشة النزارية) ، وزوجه (نجلاء الخالدية) ، وابن عمه (سيف الدولـة) ؛ وأخيـرًا رفاقـه ، وأعدائه ، وخصومه ، وشيعته .

فكل هذه الشخوص المساعدة كانت لها علاقـات اجتماعيـة بـأبي فراس، أظهرها الكاتب ليكشف البعد الاجتماعي للشخصية المحورية .

([1]) نفسه . ص ٢٧ ، ٢٨ .

وهكذا ركز الجارم في بناء القصة الفني للشخصية على البعدين (السرد التصويري ، والاجتماعي) ، منطلقًا من مبدأ أن كل قصة لها جوانب خاصة تستدعيه الحركة الدرامية ، وليس مطلوبًا منه ــ بالضرورة ــ أن يُسلط أدواته الفنية على كل جوانب الشخصية (السرد التصويري للشخصية ــ البعد الاجتماعي ــ البعد النفسي) ، على ما قرره الدكتور / إبراهيم عوضين ، في قوله :-

(... إن على الكاتب أن ينظر إلى الجانب الذي يتطلبه الحدث ، وتستدعيه المواقف ، فيسلط عليه منظاره ، وقلمه ، ويعمل على إبرازه وتقديمه ، وليس مطلوبًا منه أن يقدم صورة كاملة للشخصية ، ولا أن يقصر تصويره على الخارج ، أو الداخل ، وإنما عليه أن يصور الجانب الذي تستدعيه أحداث القصة،وتتطلبه مواقفها مهما كان هذا الجانب ..)([1]) .

على أن اختيار الشخوص الملائمة للأحداث يختلف من أديب لآخر ، لأنه يقوم على رؤية ذاتية خاصة عند كل أديب (فالكاتب لا ينتخب الشخصية عشوائيًّا ، كما لا يسطر كلماته من فراغ ، قد يلتقط الكاتب من الحياة شخصية جذبت انتباهه بقوتها ، أو نقائها ، أو صمودها أمام العواصف والأنواء ، أو تمردها على الشر والباطل، أو جهادها في سبيل الحق والخير ، أو استمساكها بقيم الحب والفضيلة ، أو تضحياتها الملفت للنظر ، فيرى الكاتب أن هذه الشخصية الحقيقية تستطيع أن تؤدي دورًا أخّاذًا في عمل أدبي ، وأن تبلور فكرةً ، أو سلوكًا ، أو قضيةً من القضايا ، فيبدأ في تطويعها لعمله الأدبي ...)([2]) .

([1]) في الأدب العربي المعاصر . د / إبراهيم عوضين . ص ٢ / ١٥٢ .
([2]) مدخل إلى الأدب الإسلامي . د / نجيب الكيلاني . ص ٥٧ ، ٥٨ . مطابع الدوحة الحديثة ـ الدوحة ـ ط : الأولى سنة ١٤٠٧هـ . سلسلة (كتاب الأمة) رقم ١٤ .

وتطويع الشخوص في العمل القصصي يختلف من كاتب لأخر ، من حيث الرسم والتصوير والبناء الفني ؛ لأن لكل كاتب رؤية ذاتية خاصة في تصوره للحدث المراد التعبير عنه . وهذا التباين في الرؤى يترتب عليه الاختلاف في رسم الشخوص ، (فكل روائي يحتاج لتصوير البشر وتجسيد فعلهم في روايته إلى تصورٍ ما عن طبيعة الفعل البشري، وعن المبررات والدوافع ، التي تدفع البشر إلى الفعل ، وهذا التصور يشكل أساس رؤيته .

وهو لا يشكل أساس رؤيته فحسب ، ولكنه يُحدد طبيعة الموضوع الذي يختاره لروايته ومضمونها ، كما يشكل ويتحكم في الأدوات الفنية التي

يعبر بها الروائي عن المضمون)([1]) .

مما تقدم يمكن القول أن الجارم كانت له رؤيته الخاصة في معالجة شخوصه التي أدَّت دَفّـَة أحداث قصصه،ويمكن تحديد هذه الرؤية في الآتي :-

١ ــ اتباع الطريقة التقليدية القائمة على إيقاف الحركة الروائية، وتقديم سرد تصويري للشخصية عند بدء ظهورها ، ثم استئناف الحركة الدرامية بعد ذلك .

٢ ــ الاعتماد في تقديم شخوصه الروائية على النوع الحقيقي التسجيلي ، موجودة في التاريخ العربي والإسلامي المجيد ، وقد ذاع صيتها لشهرتها البطولية ، أو الأدبية ، في المصادر التراثية الخاصة بها ، وظلت كذلك إلى أن جاء العصر الحديث ، فظهرت من خلال النقد الأدبي أولاً ،ثم تأكد ظهورها حينما عالجها الجارم معالجة نابضة حية ، تتصف بالحركة والحيوية ، التي هي من خصائص الأحياء ، وتُطَابق أصلها التراثي تمامًا

([1]) الرؤية والأداة (نجيب محفوظ) . د / عبد المحسن طه بدر . ص ١٧. دار المعارف بالقاهرة . ط : الثالثة

بتمام ، ولا تفترق عنه في شيء ، اللهم إلا في القليل النادر ، الذي لا يتعارض مع الحقيقة التاريخية ، ويخدم في الوقت ذاته الحركة الفنية في القصة .

بيد أن الشخصيات الحقيقية التاريخية لا تقتصر عند الجارم على الشخصيات (المحورية) ، بل تشمل غالبية الشخصيات المساعدة أيضًا ، فهو لم يلجأ إلى الشخصية (الخيالية) المخترعة ، إلا في القليل النادر من المواقف التي تحتاج إليها الحبكة الفنية .

فعلى سبيل المثال لا الحصر ، كانت أهم شخوصه (المساعدة) في قصة (غادة رشيد) حقيقية واقعية ، مثل (الشيخ/ إبراهيم الجارم ، والشيخ/ السادات ، والشيخ / الشرقاوي ، والسيد / محمد البواب ، وعثمان حجا ، ونابليون ، وكليبر ، ومينو ، والحلبي ، وغيرهم ..) .

والقليل النادر من النوع الخيالي،مثل شخصيَّتي (الشيخ/علي سريط ، والحاج / عبد الله البربير) ، فهاتان الشخصيتان ابتكرهما الكاتب لاحتياج الحبكة الفنية إليهما في نمو الأحداث وتطورها .

والشيء نفسه نجده في شخوص الكاتب المساعدة في قصة (شاعر ملك) . ففي الغالب الأعم منها كانت حقيقية تراثية مذكورة في المصادر المتعلقة ببلاد الأندلس في عصر الطوائف ؛ مثل (المعتضد عبَّاد بن محمد ، وابن زيدون ، وأبو القاسم محمد بن عبَّاد اللخمي ، وطاهرة بنت مجاهد العامري ، وابن عمَّار ، وألفونسو ، واعتماد الرَّميكية،ويوسف بن تاشفين)

والقليل النادر من هذه الشخوص من النوع الخيالي المبتكر ، مثل (جوهر السوداني ، وأبو عوف الخزامي ، وحمدون اللخمي ، وأبو عبد الله الشنتمري) .

وهؤلاء جميعًا إما من العبيد ، أو العسس ، أو أصحاب البريد ، أو الخدم .

واهتمام الكاتب بهذا النوع من الشخوص (الحقيقية التراثية) يعني أنه متأثر بثقافته العربية الأصيلة ، فهو يمتاح منها ، ويُدَبِّج في نتاجه الإبداعي .

فقد كانت سير الشعراء القُدامى ، ووقائع حياتهم ، ونتاجهم الشعري أهم ما امتاحه ، ثم نسج ذلك في أعماله القصصية ، فجاءت صورًا حيَّة لمن تصدى لهم من شعراء .

٣ ــ اهتمامه بأن تكون جُلّ الشخوص في قصصه ، من الشخوص الأدبية المتخصصة في الشعر ، القادرة على صُنع الأحداث ، وإدارة دفَّتها ، مثل (المعتمد بن عباد ، والمتنبي ، وأبو فراس الحمداني ، وابن زيدون ، والوليد بن يزيد) .

ويبدو أن الجارم في ذلك يتعاطف مع فحول الشعر العربي القديم، الذين أُعجب بشعرهم ، وحفظ منه كثيرًا ، وسار على دربهم الفني .

والكاتب بهذا المقياس تميَّز بين أبناء جيله ، حتى قيل عنه : إن ذلك من إنجازاته ، ومما يُحسب له في مسيرة القصة التاريخية الحديثة بمصر في أُخريات النصف الأول من هذا القرن([1]) .

٤ ــ حرصه على أن تتسم شخوصه المحورية بالطموح الزائد في عظم الشَّأن، ورفعة السمو ، وأن تكون جادة في إدارة دفَّة الأحداث المهمة ؛ وذلك لتحقيق الأهداف صعبة المنال ،التي تتطلب جهدًا كبيرًا ، وعملاً متواصلاً .

والشخوص المحورية ــ في قصصه ــ مثل (عمارة اليمني ، وزبيدة بنت البواب، والوليد بن يزيد ، وأبو الطيب المتنبي ، وأبو فراس ،

([1]) صورة المرأة في الرواية المعاصرة . د / طه وادي . ص ١٧٧ . دار المعارف بالقاهرة . ط : الثالثة سنة ١٩٨٤م .

وابن زيدون ، وغيرهم)، من النوع المجد المثابر ، الذي يتسم بالطموح إلى مستقبل مشرق .

على نحو ما نرى في شخصية الشاعر الكبير (أبي الطيب المتنبي)،كما هي في الواقع التاريخي ، طموحة أشد ما يكون الطموح ، ومجاهدة أعظم ما يكون الجهاد ، من أجل تحقيق أهدافها ، وتحملت في سبيل ذلك شقاء الغربة المتصل ، وإيذاء الخصوم المستمر . وكان يستخدم في سبيل ذلك ما حباه الله من مواهب في الشعر والقتال ؛ ولكنه فشل في ذلك لأنه على الرغم من جهاده كان يعتد بنفسه ، ويتطاول على كثير من الناس بشعره ، مما أوغر القلوب عليه ، فكثر أعداؤه وخصومه،مما أوصد أمامه الأبواب ، وسدت في وجهه المنافذ .

ويبدو أن اهتمام الكاتب باختيار شخوص تتسم بالطموح والمجد يعني أنه يُراعي دائمًا ــ بقصد أو بدون قصد ــ أهدافه التربوية ، كواحد من أهم رجال التعليم في الأمة العربية ، له رسالة مقدسة ، لا تهدف إلى التعليم فقط ، بل تهدف إلى غرس القيم السامية ، ولفت الانتباه إلى الأخلاق النبيلة .

لا غرو إذن أن يهتم بالسرد القصصي التعليمي ، الذي يصور القدوة الحسنة ، والمثل الرفيع ؛ من خلال اختيار شخوص مجدة طموحة ، تستطيع أن تقدم النموذج المطلوب .

وقد تنبه المسؤولون عن التعليم إلى ذلك ، فقرروا تلك القصص على تلاميذهم في عقود سابقة .

وعلى هذه الشَّاكلة كان الجارم ينتقي شخوص قصصه التاريخية من النوع الذي يعمل على الوصول على غاية وهدف مهما كلفها ذلك من صعاب ومشقات .

وقد رسمها رسمًا دقيقًا مُجمعًا ؛ بحيث أبرزها ماثلة للعيان ، بعد توضيح تكوينها الفطري ، ووضعها الاجتماعي ، وأبعادها النفسية ، فبدت معظم أفعالها مُبررة تبريرًا منطقيًّا سليمًا ....

ولكن المتأمل في هذه القصص يجدها ازدحمت بالشخصيات ، والأسماء التاريخية ازدحامًا جعلها في شبه تكدس ، لا داعي له ، رغم أن قلة من هذه الشخصيات هي التي تؤدي أدوارًا أساسية في تصاعد الأحداث ونموها .

ويبدو أن مرد ذلك هو الاهتمام الشديد بحشد الوقائع التاريخية في مساحات متباينة بين صفحات القصص ، مع أنه يمكن التخلص من الكثير منها ، دون المساس بقيمة الأحداث الرئيسة ونموها ...

ثالثاً : البيئة الزمانية والمكانية.

من المحقق أن البيئة ببعديها الزماني والمكاني تُعَدُّ عنصرًا حيويًّا مهمًا من عناصر العمل الفني للقصة .

من هنا كان على الكُتَّاب توضيح تلك البيئة في أعمالهم القصصية ، وتحديد معالمها ، وآثارها على الشخصيات ، بحيث يمكن القول أنها تُصور مدة معينة ومحددة من حياة المجتمع .

فكل حادثة تقع لأي شخصية لابد أن يحتويها زمان معين ، ومكان بذاته ، ومن أجل هذا كله يجب أن ترتبط الأحداث بظروف وعادات ومبادئ خاصة بالزمان والمكان اللذين وقعت فيهما ، والارتباط بذلك ضروري لحيوية القصة ، لأنه يمثل البطانة النفسية لها([1]) .

وهذا ما صنعه الجارم في قصصه، إذ وجدنا البُعدَيْن (الزماني ، والمكاني) واضحين تمامًا .

([1]) راجع:الأدب وفنونه.د / عز الدين إسماعيل.ص ١٩٤ . دار الفكر العربي بالقاهرة . ط : السابعة سنة ١٩٧٨ م .

حيث حددهما ــ على عمومهما ــ وجعلهما في بوتقة واحدة ، فمزج بينهما في كثير من الأحداث الفرعية ، ثم جعل منهما عنصرًا حركيًّا مؤثِّرًا في وقائع الأحداث ، فكانت وسيلة للتعرف على ما يموج به وجدان الشخوص وفكرها .

أ ـ البعد الزماني :-

اتخذ الجارم البعد الزماني في أحداث قصصه من التاريخ العربي الإسلامي ، ابتداء من العهد الأُموي ، حتى نهاية العصر العثماني ، وبداية حكم الأسرة العلوية .

على أنه لم يعرض المرحلة التاريخية المُرادة بأكملها ، إنما عرض حِقَبًا بذاتها ، حددها منهجه الذي رسمه لنفسه عند صياغة تلك القصص . موثِّقًا إيَّاها في البداية والنهاية .

مثلما فعل في قصة (مرح الوليد) ، حيث كشف عن التاريخ الذي وقعت فيه أوائل ، حيث يقول :-

(وفي أحد أيام شوال من سنة ثلاث وعشرين ومائة ، جلس ببعض أبهاء هذا القصر "يزيد بن الوليد ، ويزيد بن عنبسة ، ومحمد ابن شهاب الزهري ، ويزيد السلمي" ؛ وقد طال بهم الإطراق ، ودلَّت أسارير وجوههم ، على ما تنطوي عليه أنفسهم من أمرٍ عظيمٍ ، وهَمٍّ دفين ...)([1])

وختم أحداثها الدرامية بتحديد التاريخ الموضح لوقائعها،قائلاً :-

(..... ولكن "الوليد" كان شُجاعًا مِقدامًا بعروبته وطبعه الموروث ، فلم يأبه لانصراف أصحابه عنه ، واعتزم أن يلقى القوم بنفسه . ففي أحد أيام جُمَادى الأولى من سنة ست وعشرين ومائة ، ركب فرسه "السندى" ، وقذف بنفسه في حومة الحرب ، فقاتل قتالاً شديدًا ، ولكن القوم تزاحموا عليه حتى كادت تنوشه سيوفهم . فدخل الحصن ، وأغلق دونه ثم أخذ

([1]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٦٩٢ .

المصحف ، وجلس يُرتِّل آيات القرآن الكريم ، وانتحى "أبو رقية" ناحية من الحجرة، وأخذ يفتح عينيه ويغمضهما ، كأنه كان يُصلي بإيماء العينين..)([1])

وأثناء سرد وقائع الأحداث التاريخية المهمة في هذه القصة قام بتوثيق معظمها؛ على نحو ما صنع مع حدث اجتماع أنصار العباسيين عام ١٢٤هـ ، لتدبير بعض المؤامرات ضد الأمويين . فيقول :-

(وفي إحدى ليالي شهر رجب سنة أربع وعشرين ومائة ، وصل من دمشق إلى الكوفة "إسماعيل بن يسار" رسولاً من الشام ، من قِبَلِ "محمد بن علي بن عبد الله بن العباس" ، فنزل بدار "بكير بن ماهان" ، وكان من كبار أنصار "العباسيين" ، وأخبره بما قدم إلى الكوفة بسببه،فسهَّل له "بكير" لقاء "سليمان بن كثير الحرَّاني" زعيم جماعتهم ، و"مالك بن الهيثم" ، واتفقوا على زيارة "يونس بن عاصم"،و"عيسى" و "إدريس ابني معقل" في السجن...)([2]) . وعلى نحو ما صنع على حدث موت الخليفة الأموي الكبير (هشام بن عبد الملك) ؛ حيث قدَّم سردًا تصويريًّا لكيفية موته ، ووثق ذلك بالتاريخ المتساوق له ، فقال :-

(... ومرَّت أيام وشهور على "الوليد" ، وهو يُعاني الهمّ والضيق ، ويتنقل بين أحياء العرب كالطريد المنبوذ ، في خشونة لم يتعودها ، وجفوة ليس له بها عهد .... وفي ليلة الأربعاء لستٍّ خلون من شهر ربيع الأخر سنة خمس وعشرين ومائة ، أحس هشام ضيقًا في صدره واختناقًا ، فأخذ يئن أنينًا ، ويُدلي رأسه من النوافذ ليلتقط بعض النَّسيم ، ويهمس في ضعف ويأس : هذه الذبحة ! هذه الذبحة ! لقد عاودتني ، ليس لي منها

([1]) نفسه . ص ٧٦٢ .
([2]) نفسه . ص ٧٣٢ .

نجاة هذه المرة . مُروا "فيروز" يحضر دواء الذبحة ، فإني مـــا أرانـــي إلا مائتًا .

أسرع "فيروز" فأحضر الزجاجة ، ولم يكن بهـــا إلا مـــاء ملـــون ، فجرع "هشام" منها مرات ، فلم تفده شيئًا ، واشتد به الداء ، فألقى رأســـه على الوسادة ، وأخذ يُردد أنفاسًا قصارًا ...)([1]) .

فالكاتب يقوم بعرض فترة تحول في التاريخ الإسلامي مُجمعةً فـــي شخصية بارزة ، يُناظر تطورها تطور الحياة الخاصة بالفرد ، وتطور الحياة الخاصة بالمجتمع ، في عرض مجمل قوامه وصف الحوادث الكبرى ،مـــع اقتباس من الإنشاء العربي ، والشعر ، والقرآن الكريم([2]) .

فالجارم يتعمد عرض بُعْد زماني محدد من المرحلة التاريخية ؛ على أن يكون هذا البعد له منعطفات تؤثر في الحركة الدرامية . وغالبًا ما تسقط فيه دولة ، وتقوم على أطلالها أخرى .

وهكذا كان الجارم يتخيَّر حقبة زمانية واقعية من التـــاريخ العربـــي الإسلامي . فهو في قصتي (مرح الوليد ، والفارس الملثم) ، صور البيئـــة الزمانية الخاصة بالعهد الأموي .

وفي قصص (سيدة القصور ، وفارس بنـــي حمـــدان ، والـــشاعر الطموح ، وخاتمة المطاف) ، صور البيئة الزمانية الخاصة بعـــصر الـــدول والإمارات في العهد العباسي ،

وفي قصتي (شاعر ملك ، وهاتف من الأنـــدلس) ، صـــور البيئـــة الزمانية الخاصة بعصر ملوك الطوائف في التاريخ الأندلسي .

وفي قصة (غادة رشيد) ، صور البيئة الخاصـــة بنهايـــة العـــصر العثماني ، وبداية حكم الأسرة العلوية في مصر .

([1]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٧٤٨ .
([2]) راجع الفن القصصي في الأدب العربي الحديث . د / محمود حامد شوكت . ص ١٧٩ .

بيد أن استخدام البعد الزماني في الحبكة الدرامية ، له كيفية فنية ، وضَّحها النقاد في طريقتين ؛ هما :-

ـ طريقة الزمان التاريخي (التقليدي) ، الممتد طولاً في اتجاه واحد ، وفيها يُحرك الكاتب الأحداث في زمن رتيب متسلسل ، ولذلك فإن القصة تبدأ منذ لحظة معينة،ثم تستمر لنعرف ماذا حدث بعد شهر ، أو عدة شهور ، ثم بعد سنة ، أو عدة سنوات .

ـ طريقة الزمان النفسي المستدير ، و المتقطع ، وفيها يميل الكاتب إلى كسر سياق الزمن التاريخي التقليدي في قصته ، ويلجأ إلى ما يُسمَّى بالزمن النفسي ، الذي يعتمد على الاسترجاع والتنبؤ ، المنسوبين لأحد الشخصيات في القصة([1]) .

وبالتأمل في نتاج الجارم القصصي نجد أن الكاتب سلك الطريقتين معًا .

فرأيناه في الطريقة الأولى يتحرك بأحداثه متوائمًا مع حركة الزمن الطبيعية،وصمم على سرد وقائعها في إطار ذي حلقات مسلسلة ، تأتي فيه الأحداث متتابعة في نظام تصاعدي .

فكلما مر الزمن مروره الطبيعي تكشفت لنا الأحداث ، وتتابعت المواقف ، التي يأخذ بعضها برقاب بعض ، في تسلسل منطقي .

على نحو ما نرى في قصة (شاعر ملك) . حيث بدأها بتحديد زمن ولادة البطل (المعتمد) . ثم تسلسل مع الزمان تصاعديًّا في حركة تاريخية تقليدية ، حتى النهاية المعروفة له .

وكان الكاتب في أثناء ذلك يُشير إلى البُعد الزماني لكثير من المواقف الدرامية الجزئية ، ويسرد عددًا كبيرًا من الأحداث التاريخية المشهورة موثقة بتاريخها الذي وقعت فيه .

([1]) لمزيد من الإيضاح راجع : دراسات في نقد الرواية . د/ طه وادي . ص ٣٣ وما بعدها

فها هو ذا يُشير إلى مولد البطل في بداية أحداث القصة قائلاُ:-

(.... في ليلة من ليالي ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة للهجرة ، كانت مدينة "باجة" بالأندلس يلفّها ظلام دامس ، بعد أن ظهر القمر في طليعة الليل قليلاً ، يرسل شعاعه في رعدة وضعف ، حتى إذا دنا المغرب،التقمته لُجَّة الليل ، فغاص فيها ، وترك وراءه المدينة في تجهم ، وسكون وحداد ...)([1]) .

وبعد سرد تصويري لهذه الليلة ، وضَّح الكاتب ما حدث فيها أثناء ولادة ذلك البطل ، مستخدمًا البعد الزماني في تطور الأحداث الجزئية في العمل الدرامي ، حيث يقول :-

(... حينئذ ساروا جميعًا إلى قصر الأمير ، .... فدخلت القابلة القصر ، وجلس أبو عوف مع الحُرَّاس في بناءٍ أُعِدَّ لهم ، حتى إذا مضت ساعة أو ساعتان ، علت الأصوات في القصر ، وانبسطت الوجوه ، ونزلت جارية تثب فوق درجات السُّلَّم وثبًا ، وهي تصيح في لغة عربية متكسرة ، تمتزج بالرطانة الإسبانية : البُشرى ... البُشرى ... ولدت الأميرة ... ولدت بنت مجاهد ... إنه غلام ... إنه غلام ... إنه جميل جدًا . حينئذ سحب أبو عوف عصاه ، وهو يردد : إنه غُلام ... إنه غلام)([2]) .

ثم يصعد الجارم بالأحداث من خلال سرد تتابعي موثَّقًا بالبعد الزمني المؤثر في الحركة الدرامية ، فيقول :-

(دار الفلك دوراته ... ومضى نحو سنتين من ولادة "محمد بن عبَّاد"، والدنيا مُقبلة على دولة بني عبَّاد ، والأيام تضاحك آمالها .

حتى إذا كان يوم من أيام الربيع ، أقبل على قصر "باجة" فارس يحث جواده ، وقد تصبب منه العرق ، وجللَّه الغبار ، فلما دخل الفناء

([1]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٤٢٩ .
([2]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٤٣٣ .

تواثب إليه الحـــراس والجنود من كل مكان ، فعرفوا فيـه الحـرث بـن ربيعة ...)([1]) .

ويستمر صعود الأحداث في تسلسل زمنـي متوافـق مـع تطـور الأحداث، فيقول :-

(وكرَّت الأيام ، وتوالت الشهور ، والقصر فـي صـمت القبـور ـ والوزراء والأمراء والخدم يمشون فيه واجفين مطرقين ، و"محمد بن عبَّاد" ـ بعد أن جعله أبوه وليَّ عهده ، ولقَّبه بالمعتمد ـ أصبح لا يكـاد يـؤدي واجب تقبيل يد والده كل صباح ، حتى يفرَّ إلى أخدانـه مـن أبنـاء كبـار الساسة والأدباء والشعراء ، وكان يطيب له اللهو بالزاهي ، وهو قصر عند باب العطارين بأشبيلية ....)([2]) .

وكان للبُعـد الزمانـي أثـره والكاتـب يُعرج على حدث موت (المعتضد عبَّاد بن محمد) ، وتولي المعتمد الخلافة على أثره ، حيث يقول :-

(... ثم ضعفت قليلاً ، وأخذ يُعالج الموت ساعات ، حتى قـضى يـوم السبـت لليلتين خلتا من جُمادى الآخرة سنة إحدى وستين وأربعمائـة ... وارتفع الضجيج ، ورددت أرجـاء القصر : مـات المعتـضد .... مـات المعتضد ....)([3]) .

ويسترسل الكاتب في صعود الحدث حتى جاء التوقيـت الدرامـي لمعاهـدة (المعتمد) مـع (الأذفونش) . ثم معركته الكبـرى معـه ، وهـي معركة (الزلاقة) . وهو حدث تاريخي شهير،استخدم الكاتب البعد الزمـاني فيه ، ليؤثر إيجابًا في تطور الأحداث ، حيث يقول :-

---

([1]) نفسه . ص ٤٤٦ .
([2]) نفسه . ص ٤٥٢ .
([3]) نفسه . ص ٤٦٩ .

(... وفي صبيحة الجمعة ، العاشر من رجب سنة إحدى وثمانين وأربعمائة ، لم يشعر جيش "ابن عبَّاد" ، إلا وجموع "الفونسو" المائجة تطبق عليه ،فجالد المسلمون وصبروا عند الصدمو الأولى ، ولكن قوة الأسبانيين ، وكثرة عددهم ، كانت فوق طاقة الأندلسيين ، ففر كثير من جند "ابن عبَّاد" .... ثم جاءت اللحظة الأخيرة التي وصل فيها "ابن عبَّاد" إلى اليأس ، وكاد يلقي السلاح مستسلمًا ، ولكنه ما كاد يهم بإغماد سيفه ، حتى رأى جيوش "داود بن عائشة" ، أحد قواد "ابن تاشفين" مقبلة عليه ، فعاد إليه الأمل ، وانضم ببقية مَنْ معه إليها .

وأقبل "ابن تاشفين" بخيله ورجله ، وعاد الفارون حينما لمعت لهم بوارق الانتصار ، وصدق المسلمون الحملة ، فشتتوا جيوش الإسبان .)([1]) .

وحينما تصل الأحداث إلى نهايتها ، وتقترب "الشخصية المحورية" من نهاية حياتها، يهتم الكاتب بالبعد الزماني الموضح لذلك . فيقول :-

(... ولم يزل في أنين وحنين ، يرسل الزفرات ، ويطوي صدره على اليأس ، حتى أدركته منيته سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ...)([2]) .

وهكذا اعتمد الجارم على البعد الزماني في قصصه ، لا سيما طريقة الزمان التاريخي التقليدية الموثقة ، التي تتصاعد في طريق واحد ، تتحرك فيه معها الحركة الدرامية في تسلسل وترتيب .

وأما الطريقة الثانية التي تعتمد على الاسترجاع الزمني ، والتنبؤ المنسوب لأحد شخوص الحركة الدرامية، فقد استخدمها الجارم حين يستعين بالأحلام وتفسيرها ، والتنبؤات وحكاياتها ، كي يُزيد في الحركة الدرامية .

([1]) الأعمال النثرية الكاملة. علي الجارم . ص ٤٩٤ .
([2]) نفسه . ص ٥٠٣ .

على نحو ما نرى في الاستعانة بالأحلام وتفسيرها في قصة (شاعر مالك) ، حينما جعل (ألفونسو) يرى حلمًا غريبًا ، وهو مُقبل على خوض معركة (الزلاقة) ، حكاه لبعض المفسرين قائلاً :-

(..... وفي صباح اليوم ، هب "ألفونسو" من نومه قلقًا ، لأنه رأى رؤيا عجيبة ، لم يستطع لها تأويلاً ، فجمع القساوسة النَّصارى ، وأحبار اليهود وقال :- رأيت فيما رأيت النائم : أني أركب فيلاً ــ والفيل ليس في بلادنا ، ولم يخطر ببالي ذكر له قبل نومي ــ وأن أمامي رجلاً يدق طبلاً . فتحيَّروا في تعبير الرؤيا ...) .

ففُسِّرَ له الحلم بتأويل أليم ، حيث أنه سيلقى هزيمة منكرة في حربه المقبلة ، ويستعين المفسر في ذلك بما جاء في القرآن الكريم في قصة أصحاب الفيل وغيرها ، قائلاً :-

(أيها "الأذفونش" إن هذه الرؤيا تدل على بلاء عظيم،ومصيبة فادحة تقع عليك ، وعلى عسكرك . وتفسير الفيل من قوله تعالى :-

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيلِ ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾

وتفسير الطبل من قوله تعالى :-

﴿ وَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ، فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيْرٌ،عَلَى الكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ ([1]) .

وحينما خاض الرجل حرب (الزلاقة)،أمام جموع العرب والمسلمين ، تحقق تأويل المُفسِّر ، وانهزم الرجل هزيمة منكرة .

كما استخدم الجارم نبوءة العرافين في إثارة الحركة الدرامية ، وتحريك زمن وقوع الأحداث،كما يتضح في قصَّة (هاتف من الأندلس) ، حيث تتنبأ عرَّافة مرَّاكشية لـ(ولاَّدة) ، بمصير (ابن زيدون) ، الذي يُعاني

([1]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٤٩٣ .

آلام السجن ، وقسوة الأسر ، بأنه سيفر منه ، ويهرب إلى بلدة أخرى ؛ ثم تُضيف إليها بأنها لن تتزوجه أبدًا ، رغم الحب الكبير الذي يجمعهما.

وبالفعل تتحقق نبوءة تلك العرَّافة ، ويفر (ابن زيدون) ، من سجنه ، بمساعدة (ولاَّدة بنت المُستكفي) ، وصديقته (نائلة الدمشقية) .

كما لم يجتمع شمل (ابن زيدون) ، بمحبوبته (ولاَّدة) ، على الرغم من رجوعه إلى (قُرطبة) ، لأنه عاد بعد أن داهمه المرض ، وهو يبلغ من الكبر عتيًّا؛ولم يلبث هكذا طويلاً حتى أدركته المنية . يقول الجارم في ذلك :-

(... التقى "ابن زيدون" بـ"ولاَّدة" ، ولكن بعد أن فات الفوت ، وذهبت بشبابه السنون ، ولوت قناته كوارث الأيام ، ونيفت سنه على الثامنة والستين .

عاد "ابن زيدون" إلى "قُرطبة"، ولكن لم يعد إليه هناء "قُرطبة" ، وطيب أيام "قرطبة" ، فقد لبث أشهرًا يُعاني آلام الأمراض ، وآلام الخيبة ، لأنه رأى بعد طول التجربة أن المعتمد لا يصلح لما كان يُرجى منه من خطيرات الأمور . واشتد في إحدى الليالي به المرض ، فجلست "ولاَّدة" حول سريره باكية نادبة ، وهو يجود بنفسه ، ويلفظ أنفاسًا قصارًا كأنها خفقات السراج آخر الليل ...)([1]) .

كما استخدم الجارم هذه الطريقة الزمانية أيضًا في قصة (غادة رشيد) ، حيث تنبأت العرَّافة (رابحة) ، بأن (زبيدة بنت البواب) ، سوف تكون ملكة متوجة على عرش البلاد في المستقبل القريب ، وقد أخذت عليها هذه النبوءة كل تفكيرها ، حتى باتت مقتنعة بتحققها ، لأنها تمتلك مقومات الجمال الذي يقربها منها .

([1]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٦٦٦ .

(... جلست "زبيدة" أمام مرآتها ورأت ما رأت ، فابتسمت ابتسامة لؤلؤية ، ثم عبست وتجهمت أساريرها ، ثم رفعت حاجبيها وشخصت بعينيها كالمفكرة المأخوذة ، ثم قالت تحدث نفسها :-

ولِمَ تكذب "العرَّافة" ؟ أ ليس في حُسني ما يذِل كل عزيز ، ويخضع لسطوته كل نفوذ وسلطان ؟ ألم يَسْرِ ذكر جمالي مع كل سائر ؟ ويُطْرِ كل ريح ؟ ....

لا . لا . لن تكذب رابحة ، وهي لم تتكهن بشيء مستحيل ، أو بعيد المنال)([1]).

لم تستمر (زبيدة) طويلاً على هذه الحال،فقد تحققت نبوءة (رابحة) ، وتزوجت (مينو) أحد كبار قادة الحملة الفرنسية ، والذي كان واليًا على رشيد في أول الأمر . ثم بات القائد العام للحملة الفرنسية في مصر ، بعد فرار (نابليون) ، ومقتل (كليبر) .

وقد تدخل الجارم في الحدث الدرامي بتعليق يصور زفاف (زبيدة) إلى (مينو) قائلاً :- (... وزُفَّت المسكينة الطَّموح إلى "مينو" بعد أسبوع ، فقذفت بسفينة حياتها في خضم قاتم مضطرب الأمواج ، لا يهديها فيه إلا شُعاع من أمل متقطع كاذب ، ولو نفذ إلى سمعها صوت من بين هذه الأمواج الصَّاخبة حولها ، لسمعت قهقهة القدر ، وهي تجلجل في شماتة وسخرية ...)([2]) .

وهكذا كان اعتماد الجارم في قصصه على البعد الزماني بطريقتيه:-

طريقة الزمان التاريخي التقليدي الممتد ، الذي يُطابق النظام الوارد في التراث التاريخي للأحداث ، والتراث الحكائي للشخوص .

([1]) نفسه . ص ٨٤٩ .
([2]) نفسه . ص ٩٠٢ .

وطريقة الزمان النفسي المستدير ، التي تُسرِّع الحركة الدرامية إلى الأمام ، وتكشف تضاعيف الشخوص المعنوية والنفسية .

ولعله ركَّز على الطريقة التقليدية بصورة أكبر في تقديم الزمن المساوق للأحداث ، في جميع أعماله ، لأنه وجد أنها الأنسب للون القصص التاريخي ، الذي غالبًا ما يعتمد على الأحداث الحقيقية المسلسلة ، حتى لا يُشوِّه الحقائق ، ويُزيِّف التاريخ .

هادفًا إلى تجديد هذه القصص تجديدًا حديثًا يتناسب مع الغاية التعليمية المرجوة، وهو في ذلك لا يخل بالأصل التراثي لها .

**** **** ****

أ ـ البعد المكاني :-

يتضح مما تقدم من تحليل فني في قصص الجارم ، أنها مستمدة زمانيًّا من التاريخ العربي والإسلامي ، وبالتالي كان مكانها هو أرض العروبة والإسلام وقتئذ من مشرقها إلى مغربها .

لذلك لا عجب حينما نقول أن الكاتب استطاع بقدرته الفنية أن يمزج بين البعدين الزماني والمكاني في قصصه ، لأنهما صنوان لا يفترقان .

وقد جاءت معالم تلك البيئة المكانية مفرقة في ثنايا القصص تبعًا لموطن الشخصية المحورية في كل عمل درامي ، وتبعًا لنمو أحداث صاحبها وتنقلاته من مدينة إلى أخرى . ويمكن تقسيمها إلى قسمين :-

١ ـ البيئة العربية في الشرق :-

وقد صورها الكاتب في قصص (مرح الوليد ،وفارس بني حمدان ، والشاعر الطموح ، وخاتمة المطاف ،وسيدة القصور ، وغادة رشيد) . وفيها تتضح ملامح البيئة المكانية العربية في الشرق أثناء حكم الأمويين، والعباسيين ، والحمدانيين ، والأخشيد ، والفاطميين ، وغيرهم ...

حيث صور المدن والبلاد العربيـــة،التي قامـــت عليهـــا الأحـــداث الجسام،مثل (بغداد ، والبصرة ، والكوفـــة ، ودمـــشق،وحلب ، والرملـــة ، والقاهرة ، وبلبيس ، ومكة ، وعدن ، وصنعاء) . وما تحتويه من طبيعـــة خلابة ، مثل (الأنهار) ، ومنها أنهار دجلة،والفرات ، والنيـــل ، وبـــردى ، وغيرها ...

ومثل الأودية والجبال والقصور والبساتين .

غير أن الجارم كان يقدم ذلك من خلال الإيحاءات الجمالية ، التـــي تهتم فقط بمناظر طبيعية تعيش فيها الشخصيات ، دون أن تـــنعكس علـــى صفحاتها إحساساتهم ، إيجابًا وسلبًا . مثلما صنع وهو يصور قصر (سيف الدولة الحمداني) ، في قصة (فارس بني حمدان) ، حيث يقول :-

(استيقظ "أبو فراس" في الصباح ، واستعد للقاء "ســـيف الدولـــة" ، فركب جواده قاصدًا أرض الحلبة ، وهي في سفح جبل "الجوشن" . فوصـــل بعد قليل إلى القصر ، وكان رفيع البناء ، بلغ الغاية في الفخامة والاتساع ، يقع على ضفة نهر "قويـــق" . وقـــد بـــذل فيـــه المهندســـون والبنـــاءون والمصورون كل ما في مكنة البشر من إبداع ، وزُيّنت أبوابـــه وحيطانـــه ، وسقوفه بالنقوش البارعة ، والتهاويل الرائعـــة ، واتـــسعت بـــه الغـــرف والأبهاء ، وكان بقاعته الكبرى ، وهي قاعة الـــسفراء ، خمـــس قِبـــاب ، يحملها اثنتان وأربعون ومائة سارية من الرخام الأبيض الناصـــع المُحَلَّـــى بالذهب ، وبها مئات من النوافذ الزجاجية البديعة الألوان .

أما الأثاث والرياش ففوق ما يصف الشعر ، ويرسم الخيال . وقـــد أحاطت بالقصر الحدائق والبحيرات ، التي كان يجري إليها الماء من تماثيل سمك ضخم ، صُنع من الذهب ، ورُكِّبَتْ له عيون من ثمين الجوهر ...)([1]) .

([1]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٤١ ، ٤٢ .

فالجارم قدم في السرد التصويري السابق عرض جمالي إيحائي فقط، يمكن استقطاعه وفصله عن الحدث الدرامي ، دون أن ينشأ عن ذلك خلل فني .

٢ ـ البيئة العربية في الغرب :-

وقد صورها الكاتب في قصص (شاعر ملك ، وهاتف من الأندلس ، والفارس الملثم) .

وفيها يتضح للمتلقي كثير من مظاهر البيئة العربية في المغرب، أثناء العصر الأندلس المجيد ، ومن أهمها :-

ـ المدن : ومن أهمها (قُرطبة، وأشبيلية ، وطلطلية ، ومالقة ، ورندة ، وقشتالة ، وسبته ، وطنجة ، ومراكش ، وأغمات ، وسواها ... من مدن المغرب الإسلامي) .

ـ قصور الحكام ، ومنها قصر ("باجة" للأمير عبَّاد بن محمد)، وقصر ("أشبيلية" لوالده محمد بن عبَّاد) ، وقصور ("قُرطبة" الخاصة بأبناء الأمويين ، ثم أبناء جهور من بعده) .

ـ ودور الوزراء والكتاب والشعراء مثل (الدور الخاصة بالوزراء)، ودار (ابن زيدون) .

ـ ومساجد العبادة القائمة في كل مدينة لأداء الصلوات ، وإلقاء الدروس .

وقد تميز الجارم بتصوير هذه البيئة العربية المغربية في عصر ملوك الطوائف بالأندلس خاصة ، لأنه كان معجبًا بهذه البيئة ، وحزينًا ـ شأن كل عربي ـ على ما آل إليه حال العرب والمسلمين ، فضلاً عن أنها كانت مكانًا للشخوص ، وخلفية للأحداث .

واهتمام الجارم في إبراز البيئة المكانية في قصصه على هذا النحو من منطلق أنها لا تعدو مجرد خلفية ثابتة أو متحركة خلف الشخصيات ، بل هي جزء عضوي من نسيج الحركة الدرامية ، لأن الإنسان لا يتحرك في

فراغ ، ولا يمكن عزله عن العلاقات المتشابكة ، والمعقَّدة ، والتي تربطه بالبشر والموجودات الأخرى([1]) .

لذلك عُني كُتَّاب القصة ــ عامة ــ بالبيئة المكانية ، وحاولوا إبراز محتوياتها ، على أنها جزء من البنية الفنية للعمل القصصي . وقد أشار إلى ذلك الأستاذ / أحمد أمين في قوله :-

(يجب أن نتذكر أن الروائي مثل الشاعر إذا عرض لمناظر طبيعية ، كملها بخياله ، وربطها ربطًا محكمًا بِقَصِّه . إما بوسيلة التعارض ، أو بوسيلة التعاطف .

فوسيلة التعارض هي أن يجعل موت البطل العظيم مثلاً في يومٍ صحوٍ باسمٍ ، كأن الطبيعة لا تُعنى به ، ولا تحزن لموته ،....

ووسيلة التعاطف أن يجعل موته في يومٍ غائمٍ عابسٍ ، كأن الطبيعة قد حزنت لموته ...)([2]) .

بيد أن أهمية البيئة المكانية تزداد قيمتها ، إذا كان الكاتب يقدم القصة في شكلها التاريخي الواقعي ، لأن من أهم أهداف هذا الاتجاه القصصي تصوير الحياة في عصر ما ، وإمتاع القراء بذلك ، فمتعة الروايات التاريخية تنحصر في تصويرها الحياة في العصر الذي تتناوله ....([3]) .

لا غرو إذن أن يهتم الجارم بتصوير البيئة المكانية في قصصه،في لوحات فنية، مُقدمة بأسلوب بياني رفيع ؛ لكنه أفرط ــ في بعض الأحيان ــ لدرجة أنها كانت تقطع الأحداث المتسلسلة ، حتى أحس القارئ بنوع من

([1]) راجع : التفسير العلمي للأدب . د / نبيل راغب. ص ١٢٦ . بتصرف.الشركة المصرية لفن الطباعة بالقاهرة . ط : الخامسة .

([2]) النقد الأدبي . أ / أحمد أمين . ص ١ / ١١٩ . النهضة المصرية بالقاهرة .ط: الخامسة سنة ١٩٨٣م .

([3])النقد الأدبي . أ / أحمد أمين . ص ١ / ١١٨ . بتصرف .

الملل والفتور ، لأنها ــ غالبًا ــ ما تكون خارجة عن الأحداث الدرامية ، ولم يستطع الكاتب ربطها بها ، ويمكن فصلها عن سياق الأحداث ، والاستغناء عنها دون الشعور بأي خلل .

على نحو ما نرى السرد التصويري لمدينة (قُرطبة) ، في بداية قصة (هاتف من الأندلس) ، التي يقول فيه :-

(في يوم من أيام الربيع رقَّت فيه أنفاس النَّسيم ، وجمَّلت أفقه أضواء الأصيل ، ظهرت "قُرطبة" عروس المدائن ، وأم قرى الأندلس ، وحولها البساتين والخمائل ، تحيط بها أشعة الشمس الذهبية ، فتبدو كأنها صورة في إطار من ذهب، وقد انحدر تحت قدميها الوادي الكبير نقيًّا صافيًا ، كأنه خالص اللّجين،وجرت به السفن ترِفّ قلاعها البيض ، كما ترف الحمائم رأت ماء وخضرة ، فحنَّت إلى الورود . وانطلق الملاحون ينغمون أهازيج لهم ، فيها حب ، وفيها أمل ، وفيها مجد وبطولة ، فسرت ألحانهم مع هبَّات النسيم ناعمة مطربة ، وتوثَّبت كل موجة عليها تقتنص منها لحنًا . وامتد فوق النهر الجسر العظيم ، الذي أمر ببنائه "عمر بن عبد العزيز" ضخمًا تيَّاهًا يُباهي بأقواسه السبع عشرة ما بناه الأوَّلون ، ويتحدى أن يكون له مَثَل في الآخرين .)([1]) .

وكان على الكاتب بعد الانتهاء من هذا السرد التصويري ، أن يربط بين تلك اللوحة البيانية ، وبين الأحداث الدرامية التالية ، لكنه لم يفعل ، وتدخل مرة ثانية بسرد خطابي آخر لا قيمة له . في يقول :-

(هذه "قُرطبة" في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ، وفي حكم "أبي الحزم بن جهور" ، انطلقت قبابها في السماء شامخة معجبة ، على الرغم مما لاقته من الويلات والفتن والحروب وضروب التخريب والتدمير .

([1]) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٥٠٧ .

هذه "قُرطبة" التي كانت أيام "الناصر لدين الله" بهجة الدنيا ، وقبلة الأُمم ، وملتقى الشرق والغرب ، وشعلة النور ، التي تعشو إلى ضيائها الأبصار ، وتفد إليها طلاب العلم ، من أقاصي الأرض، لعلهم يأتون منها بقبس ، أو يجدون على النار هدى ، والتي لا تزال إلى اليوم تحتفظ بآثار مجدها القديم ، وشرفها الصميم .

هذه "قُرطبة" في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ، تراها فترى صفحة عجزت الخطوب عن محو سطورها ، ودوحة لم تعبث الأعاصير إلا ببعض غصونها ...)([1]) .

ويبدو أن التوجه التربوي عند الجارم ألزمه الاحتفاء بالأسلوب البياني ، وتقديم نماذج شعرية كثيرة في ثنايا قصصه ، للإفادة التعليمية والتوجيهية المرجوة . لذلك أغفل بعض الروابط الفنية التي ينشأ عنها التعاطف مع المكان ، أو التعارض معه .

**** **** ***

رابعاً : لغته الأسلوبية .

من المقرر أن الأسلوب عنصر مهم في جميع الفنون ، وله طبيعة خاصة ، ومنهج فريد في فن القصة . إذ هو (الوسيلة التي يقدم بها الكاتب قصته ، وإذا كانت القصة تمتاز بالمرونة في مجال البناء الفني ، فإنها أيضًا تمتاز بالمرونة في مجال التعبير ، فهي ليست كالمسرحية يتحكم فيها قالب واحد ، وهو قالب الحوار . وإنما للقاص أن يختار ما يُناسبه من قوالب تعبيرية، فله أن يجري الأحداث في صورة حوار ، أو في صورة قالب سردي ، أو في قالب رسائل ، أو في مذكرات ، أو اعترافات .

([1])الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٥٠٧ ، ٥٠٨ .

وقد يجمع بين بعض هذه . وهذا الاتساع ، وتلك الحرية في الاختيار تفرض على القاص صعوبات وقيود لا يتحملها ، إلا مَنْ أُتي موهبة واقتدارًا في هذا المجال ؛ فهي ليست مجالاً سهلاً يغدو فيه ويروح كل مَنْ يرغب في الوصول إلى المجد الأدبي فيظن المجال سهلاً وسريعًا ، وهو لا يملك سوى أنه يستطيع أن يسرد حكاية ، أو يورد مجموعة من الأحداث)(١) .

لا غرو إذن أن يكون الأسلوب هو الوعاء الذي يحوي بداخله كل عناصر القصة الأخرى وقضاياها ، وأهدافها كما صورها الكاتب ؛ وهو الطريقة اللغوية الفنية التي يسلكها القاص في تناول أحداث قصته، وتقديم شخصياتها ، وبيان مواقفها ، ووصف زمانها ومكانها ...

على أن لكل قاص أسلوبه الذي يُقدم به الشخصيات والأحداث في بناءٍ يحمل طابعه في وسائله التعبيرية ، التي يصوغها بطريقة فيها شخصيَّته وروح عصره .

والقصة من الأنواع الأدبية التي صار لها سيطرة وذيوع في هذا العصر ، وصارت أقرب الأجناس الفنية تعبيرًا عن الناس ، وعن مشاكلاتهم ونفسياتهم ، وقد يلجأ البعض إلى استخدام العامية مبررًا هذا بالواقعية ، غافلاً عن أن الواقعية ليست في اللغة ، وإنما في المحتوى والمضمون ، وفي القضايا التي يعرضها ، والمشكلات التي يُثيرها . إلى جانب أن اللجوء إلى العامية يفقد القصة قيمتها الفنية ، ويُحكم عليها بالموت حين ولادتها .

ونحن إذ نُطالب من الكاتب ألا يسقط إلى العامية ، (فإننا نرجو منه كذلك ألا يتأنق في ألفاظه وعباراته حتى يرتفع بها إلى درجة تنفصل بها

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع : القصة في الأدب العربي . د/ متولي محمد البساطي . ص ٨٣ وما بعدها .

اللغة عن الأحداث ، وتصبح عند الكاتب غاية في ذاتها ، ولا نراها معبرة عن الشخصيات متلاحمة مع الأحداث) (١) .

إذن فالفصحى المطلوبة في الأسلوب هي أن تكون مفرداته (فصيحة قريبة ، وعباراته سلسة صحيحة ، فلا يسمو إلى مكانة يستغلق فيها على الأفهام ، ولا يهبط إلى درجة العامية التي يكون فيها رديئًا ممقوتًا ، على ما قرره الدكتور / شوقي ضيف في قوله :(... ينبغي أن يكون أسلوبها مرنًا طيِّعًا شفَّافًا ، وليس فيه شيء من نبات اللغة الوحشي، أو الشاذ .... أسلوبٌ فيه خِفّةٌ ورشاقةٌ ، وفيه حيوية خفَّاقة ، أسلوب يتميز به القصَّاصون،كما يتميز الموسيقيون بألحانهم..)(٢) .

والمُدقِّق في شخصية الجارم الأدبية ــ عامة ــ يجده ينتمي إلى مدرسة المحافظين التي من روادها (البارودي،وأحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم ... وغيرهم ..) ، التي من خصائصها الأسلوبية :-

(متانة الأسلوب ، والعناية به عناية فائقة، فقلَّما تجد خروجًا على قواعد اللغة ، أو خطأ ، أو ركاكة ؛ وإنما تجد شعرًا مصقولاً متينًا مُشرقَ الدِّيباجة ، تجد هذا عند "صبري" ، وعند "حافظ" ، وعند "عبد المطلب" ،وعند "البكري" ، و "الجارم" ، و"محرم" ، و"الكاشف ، و"نسيم" ، ومَنْ على شاكلتهم ... على اختلاف بينهم في تقليد الشعراء الأقدمين ، الذين تأثروا بهم ، فمنهم مَنْ راقه شعراء العصر العباسي ، ومنهم مَنْ رجع إلى الخلف أكثر من هذا ، فتوعر قليلاً ، وحاكى شعراء العصر الأموي ،أو الجاهلي)(٣).

---

(١) القصة في الأدب العربي . د / متولي محمد البساطي . ص ٨٤ .
(٢) في النقد الأدبي . د / شوقي ضيف . ص ٢٣١ . دار المعارف بالقاهرة . ط : السادسة
(٣) في الأدب الحديث . ١ / عمر الدسوقي . ٢ / ٣١٥ وما بعدها . دار الفكر العربي . ط : السادسة سنة ١٩٦٤م .

لذلك فإن أسلوب الجارم في المنحى القصصي يتصف بالقوة والمتانة، والتناسب مع الموضوع ، والاحتفاء بالصور البيانية المختلفة ، والاهتمام بالاقتباسات المتنوعة من شتى المصادر : كالقرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والشعر ، والأمثال ، وغير ذلك من المقومات الفنية الأسلوبية التي اتسم بها المحافظون في نتاجهم الأدبي.

مما يوحي بأنه ينتمي إلى مدرسة البيان في النثر العربي الحديث ، والتي من أهم روادها المنفلوطي ، والرافعي ، والبشري ، والزيَّات ، وغيرهم ...

ومن أهم خصائصها الأسلوبية ، الاهتمام بالأداء التعبيري النابض ، القائم على القواعد الصحيحة للتعبير ، حتى تتحقق فيه قيم الجمال الفني .

والمتأمل في الأسلوب القصصي عند الجارم يجده لم يحيد عن هذه الخصائص الأسلوبية ، وأنه قام على المزاوجة بين السرد والحوار بطريقة تُتيح للروائي درجة من الحيدة الفنية ، والرؤية الموضوعية ، مما يهيئ له فرصة تعميق أبعاد الشخصيات الروائية(١) ؛ والتي تسمح للكاتب بالتدخل شارحًا الموقف ، أو معلقًا عليه ، كما تُتيح له إبراز سعة علمه وثقافته .

بيد أن الانتقال من السرد إلى الحوار ،ومن الحوار إلى السرد ، كان في تركيز ودقة ، معبِّرًا عن ملامح الشخوص وأبعادها المادية والمعنوية .

مثلما صنع في بيان الحيلة التي حيكت لـ(ابن زيدون) ، من أجل فراره من السجن .

فقد قدَّم لحوار الأشخاص في هذا الحدث ، بسرد تصويري يوضح قسمات نفسية (ابن زيدون) المحطمة ، بعد أن تقطعت به أسباب الخروج من السجن . قائلاً :-

---

(١) نقد الرواية في الأدب العربي الحديث . د / أحمد الهواري . ص ٢٦١ . دار المعارف بالقاهرة . سنة ١٩٨٠م .

(... وبقي "ابن زيدون" كما هو في أسره وذلـــه حـــزين الـــنفس ، واجف القلب ، بعد أن تقطعت به الأسباب ، وجفاه الصحاب . وكانت "نائلة" تزوره ، وكانت "ولاَّدة" لا تنقطع عنه ، فبينما كانتا عنده فـــي أحـــد الأيـــام راعهما ما بدا عليه من شحوب وذبول وقنوط من الحيـــاة ، وحنـــين إلـــى الموت ، وكان يقول ويُكرر : أما لهذا الليل مـــن آخـــر ؟ أمـــا آن للطـــائر السجين أن يرفّ بجناحيه في الفضاء الطليق ؟ ألم يأن للمقبـــور أن يُبعـــث فيُحاسب حسابًا يسيرًا،أو عسيرًا ؟ فقالت "ولاَّدة" :-

ــ لا ينطلق الطائر ، إلا إذا حطَّم القفص ، فنظرت إليها "نائلة" فـــي استنكار وقالت : ــ ما هذا يا "ولاَّدة" ؟ إن ممـــا يؤلم اليأس أن يُلَـــوَّح لـــه بأمل لا يتحقق .

ــ لماذا لا يتحقق ؟ .

ــ لأن هذا السجن ليس قفصًا يُحطَّم، لأن حُرَّاس الطائر غلاظ شداد .

ــ إن من الحيلة ما يُعجز القوة . فعجل "ابن زيدون" ، وقال :-

ــ وأين الحيلة يا سيدتي ؟ .

ــ هيِّنَة يسيرة ، وطالما فكرت فيها ، وأقلقت وسادي في تصويرها .

ــ وما هي ؟ .

ــ إننا نبعث إليك بالطعام في كل يـــوم ، وسيكون بين ألوانه في الغد طبـــق من "الفالوذج" ، خُلط به عُقار مخدِّر ، فإذا حمله إليك الـــسَّجان فـــأظهر الرِّضا عنه، وكافئه بطبق "الفالوذج" ، فيلتهمه ، وعليك الباقي . فوثـــب "ابن زيدون" نحو "ولاَّدة" يُقبِّلها من جبينها ويصيح :

ــ أنت ملك كريم يا سيدتي ! عجبًا كيف غاب عنا مثل هذه الحيلة ! فالتفتت إليه "نائلة" ، وقالت :

ـ وإذا تم خروجك من السجن سالمًا فاذهب إلى دار ابنة خالي، وهي مصاقبة(١) لدار "ابن الحناط" الكفيف ، فاختف عندها ، حتى ندبر وسيلة للفرار من "قُرطبة" ، وسأخبرها الليلة حتى لا تندهش للقائك ، ولا تخش عندها شيئًا ، فهي تعيش مع خادم عجوز بلهاء ، زادها السن خرفًا وبلاهة .

وبعد أن طال الحديث في الفرار وعواقبه ، وفي تقصي كل ما يزيل عنه أسباب الخطر ، ودعتاه وانصرفتا ....)(٢) .

وهكذا كان الحوار يؤدي دوره في خفة وبراعة ، في كشف أبعاد الشخصيات ، ومكنونها الخارجي والداخلي ؛ وقد كان تحوله ـ في الغالب الأعم ـ من السرد إلى الحوار ، أو العكس في أوقات مناسبة تمامًا ؛ إذ قلَّما نجد تفككًا أو تشريدًا أثناء المزج بينهما .

وقد اعتمد الجارم في أسلوبه هذا على المحاور الآتية :-

١ ـ استخدم الأسلوب العربي الفصيح في تراكيب السرد والحوار ، مهتمًا بقواعد اللغة العربية الصحيحة، فقلَّما تجد خطأ ، أو ركاكة . وذلك لأنه صاحب ثقافة عربية أصيلة،تتلمذ فيها على كبار العلماء في القديم والحديث . ولأن هدف صياغة هذه القصص التاريخية كان تعليميًّا توجيهيًّا في المقام الأول .

٢ ـ اعتمد على أسلوب الإيجاز والاختصار في عرض الأحداث التاريخية المختارة ، فمعظم الأعمال القصصية عند الجارم تتسم بصغر حجم مساحتها ، مع سعة المدة الزمنية المُعالجة ، وطول الحياة الشخصية المتناولة .

---

(١) مصاقبة : قريبة .
(٢) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٦٣٦ ، ٦٣٧ .

فالحدث الدرامي التاريخي الكبير الذي يحتاج إلى مساحة كبيرة للمعالجة ، نجده عند الجارم في صفحة أو في صفحتين . فهو مثلاً عالج في قصة (شاعر ملك) ، حادث معركة (الزلاقة) الشهير ، الذي دارت رحاها بين المسلمين بالأندلس ، وبين الأسبان المسيحيين ، وانتصر فيها أهل الإسلام انتصارًا عظيمًا . في خمس صفحات فقط(١) ، رغم أن هذا الحدث يحتاج إلى مساحات أكبر .

٣ ــ حفل أسلوب الجارم أيضًا بالتضمين الشعري في قصصه ، بحيث كان كالسيل العرم كثرة ، والجراد المنتشر توزعًا واختلافًا على امتداد جل قصصه ، وهي تُنسب لعدد من الشعراء ، على رأسهم الشخصية المحورية ، التي هي في ــ الأغلب الأعم ــ من فحول الشعراء في عصور سابقة ، وباعتبارها الشخصية الأساسية التي تتناولها القصة ، وباعتبارها سيرتها الذاتية ، وباعتبارها المصدر الأول للحبكة الدرامية للأحداث .

٤ــ وحفل أسلوب الجارم أيضًا بالاقتباس والتضمين من القرآن الكريم ، حتى أنه بلغ في ذلك في إحدى قصصه (الشاعر الطموح) ، ما يقرب من عشرين موضعًا ...

ومما يدل على اهتمامه الشديد بهذا الاقتباس أو التضمين ــ حتى بات ظاهرة عنده ــ هذا السرد التصويري على لسان أحد الشخوص حاكيًا عن موقعة (سَروج) ، التي دارت رحاها بين العرب والروم ، قائلاً :-

(... أظنهم سيقضون وقتًا طويلاً يلعقون فيه جراحهم ، بعد هزيمتهم في "سروج" . تلك كانت موقعةً رائعةً حقًّا . لقد زحف فيها الروم علينا في عديد الحصى، وقد اشتجرت رماحهم حتى سدَّت الأُفق ، وصال بطاريقهم ، ووثبت دباباتهم ، وتطايرت نيرانهم ، التي لا تذر من

---

(١) الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . ص ٤٩١ : ٤٩٥ .

شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ، وقد أعجبتهم في ذلك اليوم قوتهم ، وزهاهم ما أجلبوا به من خيلٍ ورَجْلٍ وعُدَّة وعَتَاد ، وزُلزِل المسلمون زلزالاً شديدًا ، واتجهت عينا "سيف الدولة" إلى السماء في رجاء المستغيث ، حتى إذا اشتد الكرب ، وبلغت القلوب الحناجر ، سمعنا على الرغم من لَجَب الحرب وزمازمها ، صوتًا مُجلجلاً يصيح : إليَّ .. إليَّ أيها المجاهدون ! إن أبا فراس قائدكم المفاخر بشجاعتكم ، يدعوكم لتخطفوا ثمر النصر من أيدي هؤلاء العلوج . إن دباباتهم لن تُغني عنهم اليوم شيئًا . وإن قلبًا يملؤه الإيمان ، وذرعًا تشدها العزيمة ، أقوى من كل ما جمعوا وعدوا ...)(١) .

٥ ــ اعتمد أيضًا على كثير من الصور الفنية البيانية التي تُشير إلى انتمائه إلى المدرسة البيانية ــ كما أشرنا آنفًا ــ وهو في ذلك يتبع الآراء النقدية التي ترى أن للقصة ــ مهما كان اتجاهها ، أو نوعها ــ (بلاغتها الخاصة بها ، وهي المتمثلة في تخيل المواقف ، ورسم الشخصيات ، وعقد الحوارات ، وتقديم البيئات ، ذلك أنه يجب في الأسلوب الخاص بهذا الفرع الأدبي ، أن يجمع بين الفائدة القصصية في الدلالة على تطور الحدث ، وحركة الشخصية ، وبين القيمة الجمالية للعبارة القصصية في السرد والحوار على حد سواء ...)(٢) .

لكنه أسرف في الاعتماد على اجترار الصور البيانية،والإلحاح الدائم على ذلك ، مما نال من سرعة نمو الأحداث ، وأوقف الحركة الدرامية المتطورة .

---

(١) نفسه . ص ٩٩ .
(٢) دراسات في نقد الرواية . د / طه وادي . ص ٣٩ .

فما (نلح عليه بإصرار هو أن القصة نوع أدبي بالدرجة الأولى ، وينبغي ألا يخلو أسلوبها اللغوي من ومْضَةٍ لغوية في السرد والحوار)(١) .

ولكن الجارم خالف ذلك بإفراطه ــ في بعض الأحايين ــ في استخدام الاحتفاء بالنَّصَاعة البيانية (ورشاقة التعبير . فهذه هي السمة الغالبة على رواياته ، بحيث تضاءل الجانب الفني فيها ، وكاد يختفي ، وبدت الروايات عرضًا أدبيًا لحياة بعض الشخصيات،مثل "أبي الطيب" في روايتي "الشاعر الطموح ، وخاتمة المطاف" ؛ و"المعتمد بن عباد" في قصة "شاعر ملك" ؛ و"أبي فراس الحمداني" في قصة "فارس بني حمدان" ؛ و"ابن زيدون" في قصة "هاتف من الأندلس" ؛ و"الوليد بن يزيد بن عبد الملك" في قصة "مرح الوليد" ؛ وهكذا ....)(٢) .

وهكذا كانت أهم محاور أسلوب الجارم المستخدمة في قصصه ، وهو في ــ عمومه ــ يدل على التأثر بالالتزام المحافظ على الأصالة العربية في الأسلوب ، وما يحتويه من سمات وخصائص فنية .

**** **** ****

(١) نفسه . ص ٤٠ .

(٢) اتجاهات الرواية المصرية . د / شفيع السيد . ص ٤٨ ، ٤٩ . دار المعارف بالقاهرة . سنة ١٩٧٨م . وراجع أيضًا : بناء الرواية في الأدب المصري الحديث . د / عبد الحميد القط . ص ٥٦ . مطبعة القاهرة الجديدة . نشر : دار المعارف بالقاهرة . ط : الأولى .

ثبت المصادر والمراجع

١ ــ إبراهيم عبد القادر المازني . د / نعمات فؤاد . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .

٢ ــ اتجاهات الرواية المصرية . د / شفيع السيد . دار المعارف بالقاهرة . سنة ١٩٧٨م .

٣ ــ اتجاهات وآراء في النقد الحديث . د / محمد نايل . مطبعة العاصمة بالقاهرة . سنة ١٩٦٥م .

٤ ــ الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام . د / عبد الحميد المسلوت . مطبعة السعادة بالقاهرة . سنة ١٩٦٧م .

٥ ــ الأدب وفنونه . د / عز الدين إسماعيل . دار الفكر العربي بالقاهرة . ط : السابعة . سنة ١٩٧٨م .

٦ ــ الأدب وفنونه . د / محمد مندور . نهضة مصر بالقاهرة .

٧ ــ الأعمال النثرية الكاملة . علي الجارم . دار الشروق .ط : الأولى . سنة ١٩٨٩م.

٨ ــ بناء الرواية في الأدب المصري الحديث . د / عبد الحميد القط . مطبعة القاهرة الجديدة . نشر / دار المعارف بالقاهرة . ط : الأولى .

٩ ــ تاريخ الرُّسل والملوك . الطَّبري . دار المعارف بمصر . سنة ١٩٦٦م .

١٠ ــ تطور الفكر الاجتماعي في الرواية العربية . د / فتحي سلامة . دار الفكر العربي . ط : الأولى . سنة ١٩٨٠م .

١١ ــ التفسير العلمي للأدب . د / نبيل راغب . الشركة المصرية لفن الطباعة بالقاهرة . ط : الخامسة .

١٢ ــ تقويم دار العلوم . أ / محمد عبد الجواد . ط : هوسابير بالقاهرة . سنة ١٩٥٩م .

١٣ ــ الجارم الشاعر (عصره ، وحياته ، وشعره) . أ / أحمد الشايب . النهضة المصرية بالقاهرة . ط : الأولى . سنة ١٩٦٧م .
١٤ ــ دراسات في القصة العربية الحديثة . د / محمد زغلول سلام . منشأة المعارف . سنة ١٩٨٣م .
١٥ ــ دراسات في نقد الرواية . د / طه وادي . دار المعارف بالقاهرة . ط : الثانية . سنة ١٩٩٣م .
١٦ ــ ديوان علي الجارم . علي الجارم . دار الشروق . ط : الثانية . سنة ١٩٩٠م .
١٧ ــ الرؤية والأداة (نجيب محفوظ) . د / عبد المحسن طه بدر . دار المعارف بالقاهرة . ط : الثالثة .
١٨ ــ الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث.د / أحمد الهواري ، د / قاسم عبده . مطبعة دار التأليف بالقاهرة . ط : الأولى . سنة ١٩٧٧م
١٩ ــ الرواية التاريخية في أدبنا الحديث (دراسة تطبيقية) . د / حلمي القاعود . دار النصر للطباعة الإسلامية بالقاهرة . نشر / دار الاعتصام . ط : الأولى . سنة ١٩٩٠م .
٢٠ ــ الشعر المصري بعد شوقي . د / محمد مندور.(الحلقة الأولى) . نهضة مصر بالقاهرة . سنة ١٩٨٩م .
٢١ ــ الصناعتين . أبو هلال العسكري . تحقيق أ / محمد علي البيجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم . دار الفكر العربي بالقاهرة .
٢٢ ــ صورة المرأة في الرواية المعاصرة . د / طه وادي . دار المعارف بالقاهرة . ط : الثالثة . سنة ١٩٨٤م .
٢٣ ــ على هامش النقد الأدبي . د / حسن جاد حسن . دار المعلم للطباعة . سنة ١٩٧٨م .
٢٤ ــ علي الجارم باحثًا وأديبًا. أ / محمد الغزالي حرب . دار المعارف

بالقاهرة . سنة ١٩٤٥م .
٢٥ ــ الفن القصصي في الأدب العربي الحديث . د / محمود حامد شوكت . دار الفكر العربي بالقاهرة . سنة ١٩٥٦م .
٢٦ ــ في الأدب الحديث . أ / عمر الدسوقي . دار الفكر العربي . ط : السادسة . سنة ١٩٦٤م .
٢٧ ــ في الأدب والنقد . د / عبد الحميد إبراهيم محمد . الدار القومية للطباعة والنشر . سنة ١٩٦٦م .
٢٨ ــ في الأدب العربي المعاصر . د / إبراهيم عوضين . مطبعة السعادة بالقاهرة . سنة ١٩٧٦م .
٢٩ ــ في النقد الأدبي . د/شوقي ضيف . دار المعارف بالقاهرة . ط : السادسة .
٣٠ ــ القصة في الأدب العربي . د / متولي محمد البساطي . مطبعة السعادة . ط : الأولى . سنة ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م .
٣١ ــ القصة في الأدب العربي ، وبحوث أخرى . محمود تيمور . طباعة مكتبة الآداب ومطبعتها بالمجاميز . سنة ١٩٧١م .
٣٢ ــ القصة من خلال تجاربي الذاتية . أ / عبد الحميد جودة السَّحَّار . دار مصر للطباعة بالقاهرة .
٣٣ ــ الكامل.لابن الأثير . دار صادر ــ بيروت ــ سنة ١٩٨٢م .
٣٤ ــ كتب وشخصيات . سيد قطب . دار الشروق . ط : الثالثة .
٣٥ ــ مجمع اللغة العربية . د / عبد المنعم الدسوقي الجميعي . الهيئة المصرية العامة للكتاب . سنة ١٩٨٣م .
٣٦ ــ مدخل إلى الأدب الإسلامي . د / نجيب الكيلاني . مطابع الدوحة الحديثة . ط : الأولى . سلسلة (كتاب الأمة) رقم (١٤) .

٣٧ ــ مدرسة البيان في النثر الحديث . د / حلمي القاعود . دار النصر للطباعة الإسلامية . نشر دار الاعتصام بالقاهرة .
٣٨ ــ معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر . د / جاد طه . دار الفكر العربي بالقاهرة . سنة ١٩٨٥م .
٣٩ ــ النقد الأدبي . أ / أحمد أمين . دار النهضة المصرية بالقاهرة . ط : الخامسة . سنة ١٩٨٣م .
٤٠ ــ النقد الأدبي أصولة ومناهجة . سيد قطب . ط : السادسة . سنة ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م .
٤١ ــ النقد الأدبي الحديث . د / محمد غنيمي هلال . نهضة مصر بالقاهرة .
٤٢ ــ نقد الرواية في الأدب العربي الحديث . د / أحمد الهواري . دار المعارف بالقاهرة . سنة ١٩٨٠ م .

**** **** ****